الباب الأول

فى ذكر من
أسسها من الأدارسة الحسنيين

وهـــذا الـــباب يستدعى الكلام على فضل الإقليم وحد اصقاعه وحكم أرضه، وأول من أفتتحه وسبب قدوم ولى الله إدريس[1] ، وذكر عقبه الذين أسسوا فاساً إلى غير ذلك مما يتعلق به من التنبية عليه والتذكير بما انصاف من الأمور إليه .

أما فضله فقد روى عن سفيان بن عيينة [2]عن النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) هـــو إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبى طالب مؤسس دولة الأدارســـة فى المغرب وإليه نسبتها، أول ما عرف عنه أنه كان مع الحسين بن على بن الحسن المثلث فى المدينة أيام ثورته على الهادى العباسى سنة ١٦٩ هـــ ثم قتل الحسين ، فأهـــزم إدريس إلى مصر فالمغرب الأقصى سنة ١٧٢ هـــ ، ونزل مدينة وليلى " على مقـــربة من مراكش" وكان كبيرها يومئذ إسحاق بن محمد فعرفه إدريس بنفسه فأجاره وأكرمه ثم جمع البربر على القيام بدعوته ، وخلع طاعة بنى العباس، فتم لـــــــه الأمر " يـــوم الجمعة فى ٤ رمضان ١٧٢ هـــ " فجمع جيشاً كثيفاً وخرج به غازياً فبلغ بلاد تادلـــة " قرب تلمسان وفاس " ففتح معاقلها وعاد إلى وليلى ثم غزا تلمسان فبايع له صـــاحبها وعظـــم أمر إدريس فأستمر إلى أن توفى مسموماً فى وليلى سنة ١٧٧ هـــ .
انظر الاستقصا ١/ ٦٧ ، تاريخ ابن خلدون ٤/ ١٢ .

(٢) هـــو سفيان بن عيينة بن أبى عمران ميمون الهلالى أبو محمد الكوفى الأعور ، أحد أئمة الإسلام، روى عن عمرو بن دينار والزهرى وزياد بن علاقة وزيد بن أسلم ومحمد بن المنكدر وخلق. وعنه الشافعى وابن المدينى وابن معين وابن راهوية والفلاس. مات سنة ١٩٨ هـــ .
=

أنه قال : «أن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة مسيرة أربعين خريفاً لا يغلقه الله تعالى حتى تطلع الشمس من مغربها» [1] نقله ابن الرقيق[2] . وفى المصنفات الصحاح من رواية سعد[3] بن أبي وقاص[4] وغيره أن رسول الله صلى الله علية

= انظر المزيد فى : تاريخ بغداد ١٧٤/٩ ، تذكرة الحفاظ ٢٦٢/١، حلية الأولياء ٧/ ٢٧٠ ، خلاصة تذهيب الكمال ١٢٣ ، الرسالة المستطرفة ٤١ ، شذرات الذهب ١/ ٣٥٤ ، طبقات ابن سعد ٥/ ٣٦٤ ، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٣٠٨ ، العبر ١/ ٣٢٦ .

(١) ورد فى مفتاح كنوز السنة كذلك رواه أبو داود فى سننه .

(٢) هو إبراهيم بن القاسم أبو إسحاق المعروف بالرقيق أو ابن الرقيق مؤرخ أديب من أهل القيروان ، كان يلى كتابة الحضرة فى الدولة الصنهاجية، وأستمر فيها زهاء نصف قرن ورحل إلى مصر سنة ٣٨٨ هـ يحمل هدية من باديس بن زيرى إلى الحاكم، وعاد إلى وطنه فتوفى فيه على الأرجح بعد سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م . وصفة ابن رشيق صاحب العمدة " بأنه شاعر سهل الكلام محكمه، لطيف الطبع غلب عليه أسم الكتابة وعلم التاريخ وتأليف الأخبار وهو بذلك أحذق الناس " وقال ابن خلدون فى المقدمة : ابن الرقيق مؤرخ إفريقية والدول التى كانت بالقيروان ولم يأت من بعده إلا مقلد ونعته ياقوت فى معجم الأدباء بالكتاب وأورد أسماء كتبه ومنها " تاريخ إفريقية والمغرب" عدة مجلدات و " كتاب النساء" و "نظم السلوك فى مسامرة الملوك " وله " قطب السرور فى وصف الأنبذة الخمور" .

انظر: معجم الأدباء ١/ ٢٨٧ ، الإعلان بالتوبيخ ١٢٢، الخطط المقريزية ١/ ٣٧٠.

(٣) وردت فى الأصل سعيد والصواب فى المتن .

(٤) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشى الزهرى أبو إسحاق الصحابي الأمير فاتح العراق ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة، وأول من رمى بسهم فى سبيل الله وأحد العشرة المبشرين بالجنة. ولد سنة ٢٣ ق هـ / ٦٠٣ م ، ومات سنة ٥٥ هـ / ٦٧٥ م . =

وسلم قال: «لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة» [1] ومن طريق آخر « لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى تقوم الساعة وأهل المغرب فهم أهـــل المغرب الذى هو ضد المشرق » [2]على أصح التاويلات وأوضح الدلالات وحقيقة المغرب هو المكان الواقع فى شق الغربى . قال أحد الشعراء

المغرب شئ مليـــــــــــح ولى دليل عليـــــــــــه
البدر يرقب منـــــــــــه والشمس تجرى إليـــــــــــه

وحكى أبو الجلجل[3] فى طبقات الأطباء أن ملك اليونان كتب إلى عامله بأرض بابل[4] .

= انظـــر : طبقات ابن سعد ٦/٦، الكنى والأسماء ١١/١، نكت الهميان ١٥٥/ أشهر مشـــاهير الإسلام ٥٢٥ ، تهذيب ابن عساكر ٩٣/٦، حلية الأولياء ٩٢/١ ، الرياض النضرة ٢/ ٢٩٢ – ٣٠١ ، تاريخ الخميس ١/ ٤٩٩ ، تهذيب التهذيب ٣/ ٤٨٣ .

(١) رواه أبو داود والدارقطنى .

(٢) رواه الترمذى والنسائى .

(٣) نشر هذا الكتاب فى عدة طبعات .

(٤) بكسر الباء أسم الناحية منها الكوفة والحلة ينسب إليها السحر والخمر قال الأخفش : لا ينصرف لتأنيثه وذلك أن أسم كل شىء مؤنث إذا كان علماً وكان على أكثر من ثلاثة أحـــرف فإنـــه لا ينصرف فى المعرفة. وقال المفسرون فى قوله تعالى : ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ "سورة البقرة الآية ١٠٢ " قيل بابل وقيل دبناوند. وقال أبو الحسن : بابل الكوفة . وقال أبو معشر : الكلدانيون هم الذين كانوا ينزلون بابل فى الزمن الأول ويقال إن أول من سكنها نوح عليه السلام وهو أول من عمرها وكـــان قـــد نزلها بعقب الطوفان . وقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل دهقان الفلوجه عن عجائب بلادهم فقال كانت بابل سبع مدن فى كل مدينـــة =

أن يبعث إليه بقراط [1] الحكيم بتبجيل وتكريم وأمره أن يدفع إليه جملة قناطير من الذهب لينقله وامتنع وما ذلك إلا لفضل إقليمه على غيره وأرض بابل من الإقليم الرابع الذى فاس منه .

وأول بـلاد المغرب على ما حكاه صاحب جغرافيا جبال برقة [2] جبال اوتان [3] فى المشرق وهذه الجبال آخر عمل مصر وأول عمل القيروان[4] وينقسم

= أعجوبة ليست فى الأخرى، قال البكرى: بابل بالعراق مدينة السحر معروفة . روى أبـو داود مـن طريق ابن وهب عن ابن لهيعة عن عمار بن سعد المرادى عن أبى صالح الغفارى أن علياً مر ببابل، فجاءه المؤذن يؤذنه بالصلاة، صلاة العصر، فلما برز منها أمر المـؤذن فأقـام ، وقـال إن حيى نهانى أن أصلى فى المقبرة ، ونهانى أن أصلى ببابل فإنها مـلعونة. قال أصحاب الأخبار : بنى نمروذ الخاطى المجدل ببابل، طوله فى السماء خمسة آلاف ذراع وهو البنيان الذى ذكره الله فى كتابه فقال تعـالى : ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْـلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْـثُ لَـا يَشْـعُرُونَ﴾ سورة النحل الآية ٢٦ ، قالوا : وبات الناس ولسانهم سريانى فأصبحو وقد تفرقت لغاتهم على أثنين وسبعين لساناً، وأصبح كل يبلبل بلسانه، فسمى الموضـع بابلاً، وقال الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمذانى وكان أسمه خيتارث وربما سموا العراق بابلا.

انظر : معجم البلدان ١/ ٣٠٨ – ٣١٠ ، معجم ما استعجم ١/ ٢١٨ – ٢١٩ .

(١) الطبيب اليونانى والفيلسوف له عدة مصنفات ومؤلفات.

(٢) بفتح أولـه والقاف اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية وأسم مدينتها أنطابلس .

انظر : مزيد من التفاصيل فى معجم البلدان ١/ ٣٨٨ – ٤٠١ .

(٣) له ذكر فى مختصر البلدان لابن الفقيه .

(٤) مديـنة عظيمة بإفريقية غبرت دهراً وليس بالغرب مدينة أجل منها إلى أن قدمت العرب إفريقية وأخربت البلاد فأنتقل أهلها عنها فليس بها اليوم إلا صعلوك لا يطمع فيه ، =

المغرب على ثلاثة أصقاع : والصقع الأول هو موضع كرسى إفريقية ثم جبال برقة واوتان إلى جبال نفوسة .

والصقع الثانى : المغرب الأوسط وأوله تاهرت[1] إلى جبل سبته إلى جبال درن [2].

والصقع الثالث : السوس الأقصى[3] وحدّه فى المغرب البحر المحيط الأعظم من ماسة إلى صحراء المرابطين .

وهذا الأقليم الرابع هو الأوسط من الأقاليم السبعة التى رسمها حكماء الهند وهو أعمرها وفيه أرض بابل وجزيرة العرب وبقية بلاد البربر فى أقصى المغرب وبعض مدن جزيرة الأندلس كإشبيلية [4] وقرطبة[5]

= وهى مدينة مصرت فى الإسلام فى أيام معاوية .

انظر : معجم البلدان ٤/ ٤٢٠ – ٤٢١ .

(١) بفتح الهاء وسكون الراء وتاء فوقها نقطتان اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لإحداهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت المحدثة، بينهما وبين المسيلة ست مراحل .

انظر : معجم البلدان ٢/ ٧ – ٨ .

(٢) بالتحريك جبل من جبال البربر بالمغرب فيه عدة قبائل وبلدان وقرى .

انظر : معجم البلدان ٢/ ٤٥٢ .

(٣) كورة مدينتها طرفلة ، ومن السوس الأدنى إلى السوس الأقصى مسيرة شهرين .

انظر : معجم البلدان ٣/ ٢٨١

(٤) بالكسر ثم السكون وكسر الباء الموحدة وباء ساكنة ولام وياء خفيفة مدينة كبيرة عظيمة وبها قاعدة ملك الأندلس وسريره .

انظر : معجم البلدان ١/ ١٩٥ .

(٥) وهى مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت سريراً لملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بنى أمية.

انظر : معجم البلدان ٤/ ٣٢٤ – ٣٢٥ .

وغـــرناطة [1] والمـــرية [2] ومرسية [3] ، وفيه بغداد وبأعتادًاه أعتدلت أبدان أهله فسلموا من شغرة [4] الروم وسواد الجيش وغلط الترك وجفاء أهل الجبال ودماهة أهل الصين ، وكما أعتدلوا فى الخلقة لطفوا فى الفطنة والذكاء والعلم .

ذكر مضى ذلك صاحب المدهش وغيره وهذا الإقليم عند الحكماء كريم لبقعة طيب التربة فحصب البقعة كثير العيون والأنهار وقليل العوام ذوات السموم، معـــتدل الهواء فى الفصول الأربعة على قدر متقارب من الاعتدال متوسط فى أكثر الزمان تتصل فوائده وفواكهه فى كل الأزمنة .

---

(١) بفتح أوله وسكون ثانية ثم نون وبعد الألف طاء مهملة . وهى أقدم مدن كورة البيرة مـــن أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها يشقها النهر المعروف بنهر قلزم فى القديم ويعرف الآن بنهر حداره .

انظر : معجم البلدان ٤/ ١٩٥ .

(٢) بالفـــتح ثم الكسر وتشديد الياء بنقطتين من تحتها ، وهى مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس .

انظر : معجم البلدان ٥/ ١١٩ .

(٣) بضم أوله والسكون وكسر السين المهملة وياء مفتوحة خفيفة وهاء ، مدينة بالأندلس من أعمال تدمير اختطها عبد الرحمن بن الحكم .

انظر : معجم البلدان ٥/ ١٠٧ .

(٤) وردت فى الأصل شفرة والصواب فى المتن .

وأمـــا حكم أرضه فقال أبو الحسن القابسى[1] فى شرح موطأ[2] مالك[3] رحمه الله من كتاب الجهاد اختلف الناس فى أرض المغرب هل افتتحت عنـــــوة أو صلحاً أو مختلطة على ثلاثة أقوال :

---

(١) هـــو عـــلى بـــن محمد بن خلف المعافرى القيروانى أبو الحسن بن القابسى عالم المالكية بإفـــريقية فى عصره ، كان حافظاً للحديث وعلله ورجاله فقيهاً أصولياً أعمى، من أهل القيروان. له تصانيف منها " الممهد" كبير جداً فى الفقه وأحكام الديانات و "المنقذ من شـــبه التأويل" و "ملخص الموطأ" و " الرسالة المفضلة لأحـــــوال المعلمين والمتعلمين" ولد سنة ٣٢٤ هـــ / ٩٣٦ م ومات سنة ٤٠٣هـــ/ ١٠١٢ م .

انظر : معالم الإيمان ٣/ ١٦٨ ، نكت الهميان ٢١٧ ، وفيات الأعيان ١/ ٣٣٩ .

(٢) بمعنى السهل الواضح .

(٣) هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحى الحميرى أبـــو عـــبد الله المدنى شيخ الأئمة وإمام دار الهجرة. روى عن نافع ومحمد بن المنكدر وجعفر الصادق وحميد الطويل وخلق. وعنه الشافعى وخلائق جمعهم الخطيب فى مجلد. مات بالمدينة المنورة سنة ١٧٩ هـــ .

انظر : الأنساب ورقة ٤١ م ، البداية والنهاية ١٠/١٧٤، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٧، تهذيـــب الأسماء ٢/ ٧٥ ، تهذيب التهذيب ١٠/٥، جمهرة الأنساب لابن حزم ٤٣٥ ، حـــلية الأوليـــاء ٦/ ٣١٣ ، الديباج المذهب ١٧ ، الرسالة المستطرفة ١٣ ، شذرات الذهب ١/ ٢٨٩، صفوة الصفوة ٢/ ٩٩، طبقات ابن سعد ٥/ ٤٥ ، طبقات الفقهاء ٦٧ ، طـــبقات القراء لابن الجزرى ٢/ ٣٥ ، طبقات المفسرين للداودى ٢/ ٢٩٣، العبر ١/ ٢٧٢ ، اللباب ١/ ٥٥ ، مرآة الجنان ١/ ٣٧٣ ، مروج الذهب ٣/ ٣٥٠ ، النجوم الزاهرة ٢/ ٩٦ .

الأول : الذى يظهر من رواية ابن القاسم [1] عن مالك أنها افتتحت عنوة بالسيف لأنه جعل فى المعادن النظر الإمام ولو صح ذلك لم يجز لأحد بيع شئ منها كأرض مصر وطنجة [2] لأنها افتتحت بالسيف .

الثانى : قيل صلحاً صالح عليها أهلها فإن كان كذلك جاز بيع بعضهم من بعض .

الثالث : قيل أنها مختلطة هرب بعضهم من بعض وتركوها فمن بيده شئ كان له وهو الصحيح والله أعلم .

وقال الداوودى [3] : فى كتاب الأصول لم يمر بسط كلام فى ذلك. أما الذى يوجبه النظر فيها أن تجرى على ما توالت عليه القرون الماضية فى أخرها وتقرر فى أيدى مالكها إلا ما تدارت فيه الأخبار أنه اغتصب أو جلى عنه أهله .

---

(١) هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقى أبو عبد الله المصرى الفقيه، راوية المسائل عن مالك، روى عن بكر بن مضر وابن عيينة وعدة . وعنه ابنه موسى وأصبغ بن الفرج وسحنون بن سعيد. ثقة ، مات سنة ١٩١ هـ .

انظر : وفيات الأعيان ١/ ٢٧٦ ، اللباب ٢/ ١٢٠ ، العبر ١/ ٣٠٧، شذرات الذهب ٣٢٩/١ ، الديباج المذهب ١٤٦ ، حسن المحاضرة ١/ ٣٠٣ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٥٦ ، تهذيب التهذيب ٦/ ٧١ .

(٢) بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء .

انظر : التفاصيل فى فى معجم البلدان ٤/ ٤٣ .

(٣) هو محمد بن عبد الحى بن محمد عبد الحليم الأنصارى الكنوى الهندى أبو الحسنات عالم بالحديث والتراجم من فقهاء الحنفية. ولد سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م، ومات سنة ١٣٠٤ هـ / ١٨٨٧ م . له عدة مصنفات منها "الآثار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة" و "الإفادة الخطيرة" فى الهيئة. و "التحقيق العجيب" فقه و " الرفع والتكميل فى الجرح والتعديل" فى رجال الحديث و "ظفر الأمانى فى مختصر الجرجانى" فى مصطلح الحديث،=

قال التادلى [1] الحافظ أن أرض المغرب أسلم عليها أهلها . ويحكى أن أحد عمال المنصور بن أبى عامر [2] حين تغلب على أرض فاس قال لهم أخبرونى على أرضكم أصلح هى أم عنوة . فقالوا لا جواب عندنا حتى تأتى الفقيه يعنون أباجيدة بن أحمد [3] فجاء أبوجيدة فسأله فقال ليست بصلح ولا عنوة أنما أسلم عليها ، فقال لهم : خلصكم الرجل ، وأبوجيدة هو المدفون خارج باب بنى مسافر أحد أبواب فاس والدعاء عند قبره مستجاب وله نفع الله به كرامات من أراد

= و "مجموعة الفتاوى " مجلدان و "نفع المفتى والسائل بجميع متفرقات المسائل" فقه و "التعليق الممجد " على موطأ الإمام محمد الشيبانى، و"فرحة المدرسين بأسماء المؤلفات والمؤلفين" و " طرب الأماثا بتراجم الأفاضل " و " إنباء الخلان بأنباء علماء هندستان" .

انظر : الرسالة المستطرفة ١١٥ ، الفوائد البهية ٢٤٨ .

(١) هو عبد الله بن محمد بن عيسى التادلى أبو محمد قاضى فاس ومن أعلامها كان فقيهاً أديباً مفتياً شاعراً، بطلاً من الشجعان له " رسائل " نسبته إلى تادلة من جبال البربر بالمغرب، ولد سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م ، ومات سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م بمكناسة مغرباً عن وطنه .

انظر : جذوة الاقتباس ٤ ، لسان الميزان ٣/ ٣٤٣ .

(٢) هو محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد أبى عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافرى القحطانى أبو عامر المعروف بالمنصور بن أبى عامر أمير الأندلس فى دولة المؤيد الأموى وأحد الشجعان الدهاة أصله من الجزيرة الخضراء . ولد سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٨ م ومات سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م.

انظر : الحلة السيراء ١٤٨ ، تاريخ قضاة الأندلس ٨٠، نفح الطيب ١/ ١٨٩ ، تاريخ ابن خلدون ٤/ ١٤٧ ، الكامل فى التاريخ ٩/ ٦١ ، بغية الملتمس ١٠٥ ، الوافى بالوفيات ٣/ ٣١٢ ، البيان المغرب ٢/ ٣٠١ .

(٣) ورد فى الحلة السيراء ٢٥٧ .

الوقوف عليها فيطالع كتاب المستفاد فى ذكر الصالحين من فاس والعباد الذى ألفه أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفندلاوى المعروف بالكتانى [1] .

نزول البربر بالمغرب

وأما سبب نزول البربر بأرض المغرب من أرض فلسطين فإن ملكها جالوت لما قتله داود عليه السلام جلب البربر بأرض المغرب فتفرقت فى تلك البلاد من موضع القيروان إلى ساحل البحر الأندلسى وكانت هذه البلاد قبل البربر للروم فجلت الروم قدامهم إلى صقلية وهى جزيرة عظيمة فى البحر تجازى بلاد إفريقية ثم رجع الأفارقة من الروم إلى مدائنهم على صلح من البربر إذ كرهت البربر نزول المدائن فنزلوا فى الجبال والرمال والوهاد لكونهم أصحاب إبل وبقر وغنم وسكان بيوت أدم وشعر فعادت المدن رومية والجبال والصحارى بربرية وهم يومئذ على أديان مختلفة ثم بعث النبى صلى الله عليه وسلم وخلافة الخلفاء الراشدين أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه [2] وعمر بن الخطاب ، رضى الله عنه [3]

---

(١) الثابت هو محمد بن عبد الكبير بن محمد أبو الفيض وأبو عبد الله الكتانى . انظر : معجم الشيوخ ١/ ٤٤ – ٤٩ .

(٢) انظر مزيد من التفاصيل فى : أسد الغابة ٣/ ٣٠٩ ، تاريخ الخلفاء ٢٧ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٢ ، شذرات الذهب ١/ ٢٧ ، طبقات الفقهاء ٣٦ ، العبر ١/ ١٦ ، مروج الذهب ٢/ ٣٠٥ .

(٣) انظر مزيد من التفاصيل فى : اسد الغابة ٤/ ١٤٥ ، الإصابة ٢/ ٥١١، تاريخ الخلفاء ١٠٨، تذكرة الحفاظ ١/ ٥ ، خلاصة تذهيب الكمال ٢٣٩، شذرات الذهب ١/ ٣٣، طبقات الفقهاء ٣٨ ، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٥٩١، العبر ١/ ٢٧ ، مروج الذهب ٢/ ٣١٢ ، النجوم الزاهرة ١/ ٧٨ .

وعثمان [1] وعلى [2] رضى الله عنهما وصدر دولة بنى أمية ، ولى يزيد بن معاوية [3] عقبة بن نافع الفهرى[4] على بلاد المغرب فى سنة اثنتين وستين من الهجرة واستفتح بعضه إلى أن بلغ البحر الأعظم حيث ماسة وأدخل فيه قوائم فرسه ثم جعل يقول وعليكم السلام فقال أصحابه على من تسلم يا ولى الله ، فقال لهم أن قوم يونس عليه السلام سلموا على وسلمت عليهم ولولا البحر لأريتكم إياهم وأسلم إذ ذاك على يده بعض من بالمغرب وحين رجع منه ارتد بعض من

---

(١) انظر التفاصيل فى : أسد الغابة ٣/ ٥٨٤ ، الإصابة ٢/ ٤٥٥، تاريخ الخلفاء ١٤٧ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٨ ، خلاصة تذهيب الكمال ٢٢١ ، شذرات الذهب ١/ ٤٠ ، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٥٠٧ ، طبقات القراء للذهبى ١/ ٢٩، العبر ١/ ٣٦ ، مروج الذهب ٢/ ٣٤٠ ، النجوم الزاهرة ١/ ٩٢ .

(٢) انظر : أسد الغابة ٤/ ٩١ ، الإصابة ٢/ ٥٠١ ، تاريخ بغداد ١/ ١٣٣ ، تاريخ الخلفاء ١٦٦ ، تذكرة الحفاظ ١/ ١٠ ، خلاصة تذهيب الكمال ٢٣٢ ، شذرات الذهب ١/ ٤٩ ، طبقات القراء للذهبى ١/ ٣٠ ، العبر ١/ ٤٦ ، مروج الذهب ٢/ ٣٥٨ ، النجوم الزاهرة ١/ ١١٩ .

(٣) انظر : تاريخ الخميس ٢/ ٣٠٠ ، منهاج السنة ٢/ ٢٣٧ – ٢٥٤ ، الكامل ٤/ ٤٩ ، مختصر تاريخ العرب ٧١ – ٧٦ ، البدء والتاريخ ٦/ ٦ – ١٦ ، تاريخ اليعقوبى ٢/ ٢١٥ ، جمهرة الأنساب ١٠٣ ، بلغة الظرفاء ١٩ ، مروج الذهب ٢/ ٦٧ – ٧٣ ، القلائد الجوهرية ٢٦٢ ، رغبة الأمل ٤/ ٨٣ – ٨٤ و ٥/ ١٢٩ ، الوزراء والكتاب ٢٥ .

(٤) هو عقبة بن نافع عبد القيس الأموى القرشى الفهرى فاتح من كبار القادة فى صدر الإسلام وهو بانى مدينة القيروان . ولد سنة ١ ق هـ / ٦٢١ م ، ومات سنة ٦٣ هـ/ ٦٨٣ م .

انظر : الاستقصا ١/ ٣٦ – ٣٨ ، البيان المغرب ١/ ١٩ ، فتح العرب للمغرب ١٣٠ – ١٥٢ ثم ١٧٨ – ٢٠٥ ، بغية الرواد ١/ ٧٦ .

أســـلم ثم ولى الوليد بن عبد الملك[1] بن مروان بن الحكم موسى بن نصير[2] على المغـــرب أيضاً فى سنة اثنتين وتسعين وصار فيه حتى بلغ سبتة وطنجة وجاز منه لبر الأندلـــس وافتـــتحه مـــع مولاه طارق بن زياد[3] وأسلم على يده أيضاً بعض من بالمغـــرب حتى لم يبق منه موضع إلا وعند الله تعالى فيه بسبب قدوم ولى الله الصالح إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكان سبب قدومه من المشرق إلى المغرب على ما حكاه محمد بن جرير الطبرى[4] وغيرة

---

(١) انظر التفاصيل فى : الكامل ٥/ ٣ ، تاريخ الطبرى ٨/ ٩٧ ، بلغة الظرفاء ٢٣ ، تاريخ اليعقوبى ٣/ ٢٧ ، تاريخ الخميس ٢/ ٣١١ – ٣١٤ ، مروج الذهب ٢/ ١١٩ – ١٢٧ ، الذهب المسبوك ٢٩ ، عنوان المعارف للصاحب ١٥ .

(٢) هـــو موســـى بـــن نصير بن عبد الرحمن بن زيد اللخمى بالولاء أبو عبد الرحمن فاتح الأندلس، أصله من وادى القرى بالحجاز، كان أبوه نصير على حرس معاوية. ولد سنة ١٩ هـــ / ٦٤٠ م ومات سنة ٩٧ هـــ / ٧١٥م .

انظر : نفح الطيب ١/ ١٠٨ – ١٣٤ ، الحلة السيراء ٣٠ ، وفيات الأعيـــــان ٢/ ١٣٤ ، جـــذوة المقتبس ٣١٧ ، بغية الملتمس ٤٤٢ ، تراجم إسلامية ١٠٩ ، البيان المغرب ١/ ٤٦ ، نخب تاريخه ١١

(٣) هو طارق بن زياد الليثى بالولاء فاتح الأندلس، أصله من البربر أسلم على يد موسى بن نصير ، ولد سنة ٥٠ هـــ/ ٦٧٠ م ، ومات سنة ١٠٢ هـــ / ٧٢٠ م .

انظر : نفح الطيب ١/ ١٠٨ ، البيان المغرب ١/ ٤٣ ، بغية الملتمس ١١و ٣١٥، المعجـــب ٩ – ١١ و ٣١٥ ، المعجـــب ٩ –١١ ، الكامل ٤/ ٢١٢ ، تهذيب ابن عساكر ٧/ ٣٨ .

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الإمام العلم أبو جعفر الطبرى له عدة مصنفات منها " تهذيب الآثار " و "تاريخ الإسلام" و "التفسير" مات سنة ٣١٩ هـــ .

انظر : البداية والنهاية ١١/ ١٣٥ ، تاريخ بغداد ٢/ ١٦٢ ، تذكـــــــرة =

أن إسحاق بن عيسى الأمير بالمدينة وفد على الخليفة موسى الهادى [1] بن أبى جعفر المنصور واستخلف عليها عمر [2] بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فظهر منه مخالفة فى آحكامه فغير عليه ذلك حسين بن على ابن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ورفض لناس إمرته واستدعوا حسينا للبيعة ، فجلس على المنبر وعليه عمامة بيضاء ، وصار الناس يأتونه يبايعونه على كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وجاء خالد البربرى فى مائتين من الجند يقاتل حسينا فقاما إليه ابنا عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهما يحيى وإدريس فضربه يحيى على أنف البيضة وقطعها وقطع أنفه فشربت عيناه بالدم فلم يبصر فنزل وجعل يده بسيفه عن نفسه وهو لا يبصر واستداره إدريس من خلفه فضربه وصرعه وعلواه بأسيافهما حتى قتلاه ثم قتل بالمدينة شيعة بنى العباس وجاء مبارك التركى [3] فأغاثهم ثم تركهم ، وأقام حسين بالمدينة أحد عشر يوما وأصحابه فغدروه ولحق بمكة وكان وفد للحج تلك السنة محمد بن سليمان بن على بن محمد بن عبد الله ابن العباس والعباس بن محمد بن على وموسى بن عيسى بن موسى بن العباس

= الحفاظ ٢/ ٧١٠، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٧٨ ، طبقات السبكى ٣/ ١٢٠ ، طبقات الفقهاء ٩٣، طبقات العبادى ٥٢ ، الوافى بالوفيات ٢/ ٢٨٤ .

(١) انظر : الكامل ٦/ ٢٩ – ٣٦ ، تاريخ اليعقوبى ٣/ ١٣٦ .

(٢) انظر المزيد فى : تاريخ الخلفاء ٢٢٨ ، تذكرة الحفاظ ١/ ١١٨، تهذيب التهذيب ٧/ ٤٧٥، حلية الأولياء ٥/ ٢٥٣ ، خلاصة تذهيب الكمال ٢٤١ ، شذرات الذهب ١١٩/١، صفوة الصفوة ٢/ ٦٣ ، طبقات ابن سعد ٥/ ٢٤٢ ، طبقات الفقهاء ٦٤، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٥٩٣ ، العبر ١/ ١٢٠ ، النجوم الزاهرة ٢٤٦/١ .

(٣) انظر : تاريخ المغرب للدكتور حسين مؤنس ٢/ ١٢٠ .

وعلى الموسم سليمان بن أبي جعفر المنصور فأتوا ذا طوى فى أربعة آلاف فارس ، وقد ورد كتاب الهادى بتولية محمد بن سليمان الحرب فوجه محمداً أبا كامل مولى لإسماعيل بن على فلما رأى القوم صار معهم فظفر به فقتله ثم قاتل محمد بن سليمان حسينا فهزمه وقتله وقتل أكثر من كان معه وأقاموا ثلاثة أيام حتى أكلت لحومهم الطير والسباع وكان ذلك بفخ وهو موضع فيه قرية على مسيرة ثلاثة أميال من مكة شرفها الله تعالى . كذا ضبطها البكرى [1] فى كتاب معجم ما استعجم فى حرف الفاء وتشديد الخاء المعجمة وكثير من لا خبرة له بالتاريخ يقول له بالجيم والتحقيق أنه بالحاء المعجمة كما ذكر وكانت هذه الوقعة فى يوم السبت وصادفت يوم التروية الثامن لشهر الحجة من سنة تسعة وستين ومائة وقال فيه أحد الشعراء :

فلا بكين على الحسين بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذى تركوه ليس بذى كفن
تركوا بفخ غدوة فى غير منزلة الوطن
كانوا كراما فتلوا لا طائشين ولا جبن
غسلوا المذلة عنهم غسل الثياب من الدرن
هدى العباد بجدهم فلهم على الناس المنن

وحضره بعد الوفاة محمد بن سليمان قاتل حسين فجعل جلساؤه يلقنونه الشهادة وهو يقول :

آلا ليت أمى لم تلدنى ولم اكن لقيت بفخ لا حسينا ولا حسن

---

(١) انظر : ترجمته فى : الصلة لابن بشكوال ٢٨٢ ، طبقات الأطباء ٢/ ٥٢ ، بغية الوعاة ٢٨٥ ، آداب اللغة ٣/ ٨٤ ، دائرة المعارف الإسلامية ٤٨ – ٥٠٠ ، وقد نشر هذا الكتاب فى لجنة التأليف والترجمة – بالقاهرة .

وفى هذه الواقعة أفلت إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب على ما حكاه المظفرى[1] وصار مع مولاه راشد إلى مصر وعلى بريدها واضح مولى صالح بن منصور فجعله على البريد إلى المغرب فوقع بحومة بلاد طنجة ثم إلى بلد وليلى قاعدة زرهون واستجاب له قبائل البربر وعلاه أمره وشاع خبره،وهذه البلدة قديمة البناء يذكر أنها من بنيان القبط وهى معروفة الآن بقصر فرعون من أرض أولاد تعلو وهى متوسطة بين العمارات خصيبة كريمة المياه والفرس والزيتون كان لها سور عظيم قد بقى بعضه و فيه عبرة للمعتبرين . ولما وصل مولاناه إدريس إلى بلد وليلى [2] نزل على صاحبى الأمير إسحاق بن محمد ابن عبد الله الأوروبى فأقبل عليه واكرامه وبالغ فى بره ، وكان نزوله بو ليلى فى أول شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وسبعين ومائة فأقام عنده والناس يفدون عليه إلى أن دخل شهر رمضان السنة فبايعه جميع قبائل البربر وخرج بهم إلى تامسنا[3] ففتح شلة [4] وسائر تلك الحصون وصار إلى تادله [5] فافتتح حصونه إلى أن بلغ ماسة ، وكان أكثر هذه البلاد على دين النصرانية واليهودية والمجوسية والإسلام بها

---

(١) نشر هذا الكتاب فى بيروت عام ١٩٨٧ م .

(٢) مدينة بالمغرب قرب طنجة لما دخل إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ناجياً من وقعة فخ حصل بها فى سنة ١٧٢ هـ فى أيام الرشيد وأقام بها على أن مات مسموماً فى قصة طويلة سنة ١٧٤ هـ .

انظر : معجم البلدان ٥/ ٣٨٤ طبعة دار صادر .

(٣) قرية لكتامة وزناتة قرب المسيلة وأشير بالمغرب .

انظر : معجم البلدان ٢/ ٧ .

(٤) انظر : المعجب للمراكشى ١٧ .

(٥) بفتح الدال واللام من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس .

انظر : معجم البلدان ٢/ ٥ – ٦ .

قـــليل فأسلم جميعهم لم يبق بالمغرب موضع يعبد غير الله فيه وذلك مما أخبر الرسول به عليه الصلاة والسلام أن يكون فأنه فى جاء فى الصحيح أنه قال :

زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى مـــنها ولما نزل إدريس بخارج تلمسان واستقلت له إمارة المغرب بأسره اتصل ذلك بالرشـــيد وضـــاق وأهتم لذلك وخشى أن يتوجه لإفريقية فيصل إليه لما يعلم من فضله وكماله ومحبة الناس فى آل البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث إليه الرشـــيد من يقاله واختار لذلك سليمان بن جرير فخرج إليه من بغداد حتى وصل المغـــرب وقدم إلى إدريس بمدينة وليلى فسلم عليه سليمان وسأله إدريس عن أسمه ونســـبه ومن أى بلاد قدم ؟ وما سبب قدومه إلى المغرب ؟ فذكر له أنه من بعض موالى أبيه وأنه أتصل به خبره فأتاه برسم خدمته لأجل محبته وولايته لأهل البيت إذ لا يعـــدل بهم أحد ولا يقاس بهم سواهم فأنس به إدريس وسكن إلى قوله وسربه ، فكـــان إدريـــس لا يعقد ولا يأكل ولا يشر إلا معه ولم يزل يترقب الفرصة ويعمل الحيـــلة فى قتله فلم يجد لذلك سبيلاً لموالاة مولاة راشد [1] الذى لا يزايـــــله

---

(1) انظر التفاصيل فى: الأنيس المطرب ٣٧ . هو راشد مولى إدريس بن عبد الله بن الحسن ابن المثنى، وأمينه كان فى خدمته بالمدينة ثم بمكة وخرج معه من هذه عاربين مستترين بعد وقعة "فخ" التى قتل فيها الحسين بن على بن الحسن المثلث سنة ١٦٩ هـــ ، فمرا بمصر وإفريقية ودخلا المغرب الأقصى سنة ١٧٢ هـــ ، فأقاما بمدينة "وليلى" بقرب مراكش. ودعـــا إدريـــس إلى نفسه، فعظم أمره وملك " وليلى" وبلاداً أخرى ، وراشد عون له وكـــالىء . وقتل إدريس بالسم . فلحق راشد بقاتله فضربه بالسيف فقطع يمناه ، وعاد إلى وليلى، فعلم من جارية لإدريس أسمها " كنزة" أنها حامل ، فتولى إدارة الملك بأسم "الجنين" إلى أن ولدت كنزة، فسمى ولدها (إدريساً) على اسم أبيه وجدد له بيعة البربر، وقام بأمره وأمر دولته ، وعلمه ورباه. وكان الأغالبة فى القيروان يتتبعون أخبار الدولة الناشئة فى جوارهم ، ويبعثون بالأموال للقضاء على إدريس (الرضيع) وكانت لهم يد =

ولا يفارقه إلى أن غاب رشيد ذلك يوماً فى بعض شؤنه فدخل عليه سليمان فوجده. فقال: يا سيدى جعلت فداك إنى جئت من المشرق بفارورة طيب لا تطيب بها ثم إنى رأيـــت أن الإمام أولى بها فخذها لتتطيب بها فقد اثرتك بها على نفسى ثم أخرجها ووضعها بين يدى إدريس فأخذ إدريس الفارورة ففتحها وشمها ، فلما رءاه سليمان فعـــل ذلك تحصل له مراده وتمت حيلته جعل يتسلل من المجلس وخرج كأنه يريد قضـــاء حاجته فصار إلى منزله وركب فرساً له من سباق الخيل كان قد أعده لذلك وخـــرج من وليلى يطلب النجاة وكانت الفارورة مسمومة فحين استنشق إدريس الطيـــب الذى بها صعد السم إلى خياشمه وانتمى إلى دماغه فغشى عليه وسقط ميتا وذلـــك فى منسلخ شهر ربيع الآخر من سنة خمس وسبعين ومائة فكانت أيام دولته ســـنتين وثمانية أشهر انتهى ما حكاه البكرى فى مسالكه. قال شاعر على ما حكاه المظفـــرى .

أتظن يا إدريس إنك مفلـــــت كيد الخليفة أو يفيك فـــرار
أن السيوف إذا اقتضاها سخطـه طالت تقصر دونها الأعمـــار
فليدركنك أو تدلى ببلـــــدة لا يمتدى فيها فـــــرار
ملك كان الموت يتبع أمـــــره فمتى يقول تطيعه الأقـــدار

ودفـــن إدريـــس رضى الله عنه بخارج باب وليلى ولم يزل الناس يعتنون بزيارة قبرة ويدعون إلى الله فى الحوائج فيستجاب لهم وظهر جسده بكفنه فى سنة

= فى : قـــتل أبيه بالسم . فما زالوا على ذلك إلى أن تمكن " إبراهيم بن الأغلب" من دس بعض البربر لراشد، فقتلوه غيلة ، فى وليلى، بعد نشوء إدريس وتسلمه عرش أبيه بقليل.

ثمانى عشرة وسبعمائة وازدحم الناس عليه من سائر أقطار المغرب حتى خيفت الفتنة بسبب ذلك فبعث أمير المسلمين أبو سعيد بن يعقوب بن عبد الحق تقبل الله أعماله بتفريقهم وتحسيم الفتن من أجل ذلك ، كذا وقفت عليه فى أمر سلطانى يقضى بذلك .

ولما توفى إدريس ترك جارية له مولده من بلاد البربر اسمها كترة حاملاً فى السابع من أشهر حملها وحين دنا وضعها ولدت ولداً ذكراً أشبه الناس بأبيه إدريس وذلك فى رجب من سنة خمس وسبعين ومائة وسمى باسم أبيه وأقام راشد مولاه بأمره وكلفه إلى أن فطن وشب فأدبه أحسن أدب وأقراه القرآن فحفظه وله من السن ثمانية أعوام وعلمه السنة الفقه والشعر وأمثال العرب وحكمها وسياستها ودربه على ركوب الخيل ورمى بالسهام ولما كمل له من السن إحدى عشرة سنة أو نحوها أخذله مولاه راشد البيعة من سائر القبائل فبويع له بجامع مدينة وليلى فى يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الأول من سنة ست وثمانين ومائة فقد بان له من هذا أن مدة بقيه حمل أمه به بعد وفاة والدة ومدة كفالة راشد له عشر سنين وعشرة أشهر وحين أخذت له البيعة صعد المنبر فخطب الناس فى ذلك اليوم فكان مما قال الحمد لله أحمده واستغفره واستعين به وأتوكل عليه وأعوذ بالله من شر نفسى ومن شر كل ذى شر وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى الثقلين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً صلى الله عليه وعلى آل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، أيها الناس أنا قد ولينا هذا الأمر الذى يضاعف فيه المحسنين الأجر وللسيئين الوزر ونحن والحمد لله على قصد جميل فلا تمد الأعناق إلى غيرنا فإن الذى تطلبونه من إقامة الحق إنما تجدونه عندنا . ثم دعا الناس إلى بيعته فبايعوه بل وعظهم على التمسك بطاعة الله وطاعته ، فعجب الناس من فصاحته وبيانه ووزانة عقله وبلاغته وبراعته ثم نزل فتسارع الناس إلى بيعته

وازدحموا عليه يقبلون بديه فبايعه كافة قبائل المغرب من زنانة وورربة وصنهاجة وغمارة وسائر قبائل البربر وتمت له البيعة واستقام له الأمر بالمغرب وتوطا ملكه وكبر سلطانه وفريت جنوده وعظمت جيوشه ومما يذكر هنا أنه قال فى حال فتاله لمن عانده

ألم أبونا هاشم شدازره ... وأوصى بنيه بالظعان وبالضرب
فلسنا نمل الحرب حتى تملنا ... ولا نشتكى مما يول إلى النصب
ولا كننا أهل الحفائظ والنهى ... إذا طار أرواح الكماة من الرعب

وقصدوا نحوه من كل مكان ووفدوا إليه من سائر البلدان وكان ممن وفد عليه نحو من خمسمائة فارس من إفريقية والأندلس من القيسية والأزد والخزرج ومدلج وبنى يحصب وغيرهم ،فسر الإمام إدريس بوفادتهم وأجزل صلاتهم وقربهم ورفعهم وجعلهم بطانته دون البربر فأعتز بهم لأنه كان فريداً بين البربر . ولما رأى الإمام إدريس أن الأمر استقام له وعظم ملكه وكثر حشمه وضاقت بهم مدينة وليلى عزم الانتقال منها وأراد أن يبنى مدينة لنفسه فيسكنها هو وخاصته وجنوده ووجوه أهل دولته فركب بعد الاستخارة فى خاصة من قومه وجال جملة من النواحى إلى أن بلغ جبل زالغ فعزم أن يبنى به مدينة عظيمة فظهر له أن الهدام تكثر فيه زمن الفيض فأنتقل لوادى سبو وعزم أيضاً أن يبنى به المدينة فظهر أن السيول تصل إليها فى زمن الفطر وما زال ترداده حيث بينى واستشار وزيره عمير بن مصعب الأزدى ليرتاد له موضعاً للمدينة فصار عمير فى جماعة من قومه لينظر ما طلب فأخترق تلك النواحى إلى أن نزل على عين ماء مطردة فتوضأ منها هو ومن كان معه وصلى بهم حولها ثم دعى الله تعالى أن يهون مطلبه وأن يدله على موضع يرتضيه لعبادته فسميت العين به عين عمير إلى الآن ثم ركب وتوجه نحو فحصن

سايس يطلب ما خرج إليه حتى وصل إلى العيون التى ينبع منها وادى فاس فرأى عيوناً كثيرة تزيد على ستين عنصر اطرد على رضراض حول العيون بعد أن شرب من الماء فاستطابه ثم صار مع مسير الوادى حتى وصل إلى موضع مدينة فاس فنظر إلى ما بين العدوتين فرأى غيضة ملتفة الأشجار مطردة العيون والأنهار. وفى مواضع منها خيام من شجر يسكنها قبيلة زنانة يعرفون بزواغة وبنى يرغس، فرجع عمير على الإمام إدريس وأعلمه بما رأى من الأرض وما أستحسنه من كثرة مياهها وطيب تربتها ورطوبة هوائها وصحتها ، فأعجب الإمام إدريس من ذلك وسأل عن ملاك الأرض ، فقيل له هم قوم من زواغة يعرفون ببنى الخير . فقال الإمام إدريس هذا فال حسن ثم بعث إليهم وأشترى منهم موضع الأرض بستة آلاف درهم ودفع لهم الثمن وأنعقد الأشهاد بينهم بذلك فى رسم من انشاء كاتبه أبى الحسين عبد الله ابن مالك المالكى الأنصارى المخزومى وذلك فى سنة إحدى وتسعين ومائة ثم أن الإمام إدريس ضرب اخبيته وقبابه بالموضع المعروف بجرواوة من عدوة الأندلس ودور عليه جرواوة من الخشب فسمى الموضع جرواوة إلى زمننا هذا ثم انتقل بعد ذلك إلى الموضع المعروف بالمفرمدة من عدوة القرويين حيث دار الفيطون المتصلة لمسجد الشرفاء ثم شرع فى البناء حسبما يذكر بعد كذا ذكره ابن الرقيق وغيره .

ومن فضل هذه المدينة وشرفها ما نقله خلقهم عن سلفهم أنه وجد فى كتاب دارس بن إسماعيل[1] المكنى بأبى ميمونة بخط يده رحمه الله تعالى حدثنى على ابن أبى مطر بالإسكندرية قال حدثنى محمد بن إبراهيم[2] الموازن

---

(١) ورد ذكره فى عدة مصادر .

(٢) هو محمد بن إبراهيم بن زياد المواز أبو عبد الله فقيه مالكى من أهل الإسكندرية انتهت إليه رياسة المذهب فى عصره . له عدة تصانيف . مات سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م . انظر المزيد فى : شذرات الذهب ١٧٧/٢، الوافى بالوفيات ١/ ٣٣٥ .

عبد الرحمن بن القاسم [1] عن مالك بن أنس عن محمد بن شهاب الزهرى [2] عن سعيد بن المسيب [3] .

---

(١) هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقى أبو عبد الله المصرى العتقى الفقيه راوية المسائل عن مالك . روى عن بكر بن مضر وابن عيينة وعدة. وعنه ابنه موسى وأصبغ ابن الفرج وسحنون بن سعيد وأخرون . قال ابن حبان : كان خيراً فاضلاً ممن تفقه على مذهب مالك وفرع على أصوله. مات سنة ١٩١ هـ .

انظر المزيد فى : وفيات الأعيان ١/ ٢٧٦ ، اللباب ٢/ ١٢٠ ، العبر ١/ ٣٠٧، شذرات الذهب ١/ ٣٢٩ ، الديباج المذهب ١٤٦ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٥٦ ، تهذيب التهذيب ٦/ ٧١، حسن المحاضرة ١/ ٣٠٣ ، خلاصة تذهيب الكمال ١٩٧ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب المدنى أحد الأعلام، نزل الشام وروى عن سهل بن سعد وابن عمر وجابر وأنس وغيرهم من الصحابة وخلق من التابعين . وعنه أبو حنيفة ومالك وعطاء بن أبى رباح وعمر بن عبد العزيز وهما من شيوخه وابن عيينة والليث والأوزاعى وابن جريج وخلق .

قال ابن منجويه : رأى عشرة من الصحابة وكان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار ، فقيهاً فاضلاً . وقال الليث : ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علماً منه . وكان ابن شهاب يقول : ما استودعت قلبى شيئاً قط فنسيته. مات سنة ١٢٤ هـ .

انظر : تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٨ ، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٤٥ ، حلية الأولياء ٣/ ٣٦٠ ، خلاصة تذهيب الكمال ٣٠٦ ، شذرات الذهب ١/ ١٦٢ ، طبقات الفقهاء ٦٣، طبقات القراء لابن الجزرى ٢/ ١٦٢ ، العبر ١/ ١٥٨ ، النجوم الزاهرة ١/ ٢٩٤ ، وفيات الأعيان ١/ ٤٥١ .

(٣) هو سعيد بن المسيب بن حزن المخزومى أبو محمد المدنى سيد التابعين . ولد فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . قال محمد بن يحيى بن حبان : كان رأس من بالمدينة فى دهرة المقدم عليهم فى الفتوى سعيد ويقال : فقيه الفقهاء. وقال قتادة : ما رأيت أحداً=

عن أبي هريرة [1] رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنـــــــه قال : «تكون بالمغرب مدينة تسمى بفاس أقوم أهل المغرب قبله وأكثرهم صلاة وأهلها عـــلى السنة والجماعة ومنهاج الحق لا يزالون متمسكين به لا يضرهم من خالفهم يدفع الله عنهم ما يكرهونه إلى يوم القيامة» [2] .

= قـــط أعلم بالحلال والحرام منه . وكذا قال مكحول والزهرى وسليمان بن موسى . وعـــنه إن كنت لأرحل الأيام والليالى فى طلب الحديث الواحد . وقال أحمد بن حنبل: أفضل التابعين سعيد بن المسيب قيل له فعلقمة والأسود. قال : سعيد وعلقمة والأسود. وقال يحيى بن سعيد: كان أحفظ الناس لآحكام عمر وأقضيته، كان يسمى راوية عمر . وقـــال أبو حاتم : ليس فى التابعين أنبل منه ، وهو أثبتهم فى أبى هريرة . مـــــات سنة ٩٤ هـــ وقيل سنة ٩٣ هـــ .

انظـــر المزيد فى : تذكرة الحفاظ ١/ ٥٤ ، تهذيب التهذيب ٤/ ٨ ، خلاصة تذهيب الكمال ١٢١، شذرات الذهب ١/ ١٠٢ ، طبقات ابن سعد ٥/ ٨٨ ، طبقات الفقهاء ٥٧ ، العبر ١/ ١١٠ ، النجوم الزاهرة ١/ ٢٢٨ .

(١) هـــو أبـــو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسى اليمانى ، حفظ عن النبى صلى الله عليه وســـلم الكثير ، وعن أبى بكر وعمر وأبى بن كعب . وعنه سعيد بن المسيب وبشير بن نهيـــك وخلق كثير. وكان من أوعية العلم ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة والتواضع . قال البخارى : روى عنه ثمانمائة نفس أو أكثر وولى إمرة المدينة وناب أيضاً عـــن مروان فى إمرتها . وقال الشافعى : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره . مات سنة ٥٨ هـــ .

انظـــر المزيد فى : أسد الغابة ٦/ ٣١٨ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢ ، خلاصة تذهيب الكمـــال ٣٩٧ ، شذرات الذهب ١/ ٦٣ ، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٣٧٠ ، طبقات القراء للذهبى ١/ ٤٠ ، العبر ١/ ٦٢ ، النجوم الزاهرة ١/ ١٥١ .

(٢) متفق عليـــــــه .

وأن أبي مطـــر هو أبو الحسن على بن عبد الله بن أبي مطـــــر من أولاد أبي موســـى الأشعرى[1] وكان مجاب الدعاء، توفى بالإسكندرية سنة تسع وثلاثين وثلاثمائـــة كـــذا نقل صاحب المدارك[2] ودراس رحمه الله ممن أدخل مذهب مالك

---

(١) هو أبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس استعمله النبى صلى الله عليه وسلم مع معاذ على اليمن ثم ولى لعمر الكوفة والبصرة وكان عالماً عاملاً صالحاً تالياً لكتاب الله ، إليه المنتهى فى حسن الصوت بالقرآن، حدث عنه طارق بن شهاب وابن المسيب وخلق . قال أبو إسحاق سمعت الأسود يقول : لم أر بالكوفة أعلم من على وأبى موسى. مات فى سنة ٤٤ هـــ .

انظر المزيد فى : أسد الغابة ٦/ ٣٠٦ ، الإصابة ٢/ ٣٥١، تذكرة الحفاظ ٢٣/١ ، خلاصـــة تذهيـــب الكمال ١٧٨ ، شذرات الذهب ١/ ٥٣، طبقات الفقهاء ٤٤، طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٤٤٢، طبقات القراء للذهبى ١/ ٣٧، العبر ١/ ٥٢، النجوم الزاهرة ١/ ١٢٦ .

(٢) هـــو القاضـــى عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض العلامة عالم المغـــرب أبو الفضل اليحصبى السبتى الحافظ . ولد سنة ٤٧٦ هـــ أجاز له أبو على الغســـانى وتفقـــه وصـــنف التصانيف التى سارت بها الركبان " كالشفاء" و "طبقات المالكية" و " شرح مسلم" و " المشارق " فى الغـــــريب و "شرح حديث أم زرع " و " التاريخ " وغير ذلك ، وبعد صيته وكان إمام أهل الحديث فى وقته ، وأعلم الناس بعلومه، وبالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم. وولى قضاء سبته ثم غرناطة. مات سنة ٥٤٤ هـــ .

انظـــر المزيد فى : إنباه الرواة ٢/ ٣٦٣ ، البداية والنهاية ٢٢٥/١٢ ، بغية الملتمس ٤٢٥ ، تاريخ الإسلام وفيات سنة ٥٤٤، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٠٤ ، تهذيب الأسماء واللـــغات ٢/ ٤٣ ، الديبـــاج المذهب ١٦٨ ، الرسالة المستطرفة ١٠٦ ، روضات الجنات ٢/ ١١٥ ، طبقات المفسرين للداودى ٢/ ١٨ ، العبر ٤/ ١٢٢، المعجم =

رضـــى الله عنه بلاد المغرب فإنه كان الغالب عليه فى القديم على مذهب الكوفيين إلى أن دخـــل على بن زياد [1] وابن أشرس[2] وأحمد بن بهلول بن راشد[3] وبعدهم

= لابن الأبار ٣٠٦ ، مفتاح السعادة ٢/ ١٤٩ ، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٥، وفيات الأعيان ١/ ٣٩٢ .

(١) هـــو أبو الحسن على بن زياد التونسى العبسى قيل أصله من العجم ، ولد بطرابلس ثم أنتقل إلى تونس فسكنها . سمع مالك وسفيان الثورى والليث بن سعد وابن لهيعة. سمع منه البهلول بن راشد وسحنون وشجرة وأسد بن الفرات وغيرهم . هو أول من أدخل الموطأ بإفريقية وجامع سفيان .

(٢) هـــو عـــبد الرحيم بن أشرس هو أنصارى من العرب من أهل تونس كنيته أبو مسعود وسماه المالكى العباس ، ثقة فاضل سمع من مالك بن أنس ومن ابن القاسم . روى عنه عـــبد الـــرحمن حديث الموطأ . قال سحنون : كان على بن زياد خير أهل إفريقية فى الضـــبط للعـــلم ، وكان ابن أشرس أحفظ على الرواية، وكان شديد الأمر بالمعروف والـــنهى عـــن المـــنكر. روى عنه ابن وهب وسعيد بن أبى جعفر وعمران بن هارون وغيرهم .

(٣) هـــو أبـــو عمر البهلول بن راشد من أهل القيروان . كان ثقة مجتهداً ورعاً مستجاب الدعوة ، كان عنده علم كثير . سمع من مالك والثورى وعبد الرحمن بن زياد ويونس ابن زيد وحنظلة بن أبى سفيان وموسى بن على بن رباح والليث بن سعد والحارث بن نبهان، سمع الموطأ من على بن زياد وابن غانم وسمع جامع سفيان الصغير من ابـــــن أبى الخطـــاب وأبى خارجة والجامع الكبير من على بن زياد . سمع منه سحنون وعون الجعفرى وخالد بن يزيد وأبو سنان ويحيى بن سلام وغيرهم . كان بهلول بن راشد من أهل الفضل والعلم والورع معروفاً بذلك مع العبادة والاجتهاد وقال سحنون : كان البهـــلول رجلاً صالحاً ولم يكن عنده من الفقه ما عند غيره ، وإنما اقتديت به فى ترك السلام على أهل الأهواء .

فـــرات[1] وغيرهم من الحافظين لمذهب مالك فأخذهم كثير من الناس به فلم يزل ينتشـــر ويظهر إلى أن جاء سحنون[2] فعظ خلق المخالفين واستقر المذهب بعده فى أصحابه فشاع فى أقطار المغرب إلى زماننا هذا .

وأما أهل الأندلس فكان رأيهم منذ أفتتحت على رأى الأوزاعى[3] إلى أن

---

(١) هو أبو سهل فرات بن محمد العبدى هو معدود من رجال سحنون وسمع منه ومن عون ابن يوسف وابن أبي حسان اليحصبي وأبي ذكرياء الحفرى وابن عبد الحكم وابن بكير ونعيم بن حماد وأصبغ بن أبي الفرج ومحمد بن فضيل .

(٢) هـــو أبـــو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخى وغلب عليه لقب سحنون سمع بإفـــريقية مـــن عـــلى بن زياد والعباس بن أشرس وبهلول بن راشد وعبد الله بن غانم ومعاوية الصمادحى. ثم رحل إلى الشرق سنة ١٨٨ هـــ فسمع بمصر من ابن القاسم وابـــن وهـــب وأشهب وابن عبد الحكم وشعيب بن الليث ويوسف بن عمر. وسمع بالمدينـــة مـــن عـــبد الله بن عبد الله بن نافع ومعن بن عيسى وأنس بن عياض وابن الماجشون والمغيرة بن عبد الرحمن ومطرف ، وسمع بالشام من الوليد بن مسلم وأيوب بـــن سويد، وسمع بمكة من سفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن مهدى ووكيع بن الجراح وحفص بن غياث ويزيد بن هارون وأبي داود الطيالسى وغيرهم ولـــد سحنون سنة ١٦٠ هـــ ، ومات سنة ٢٤٠ هـــ .

(٣) هو عبد الرحمن الأوزاعى بن عمرو وأبو عمر وإمام أهل الشام فى وقته نزيل بيروت روى عن عطاء وابن سيرين ومكحول وخلق . وعنه أبو حنيفة وقتادة ويحيى بـــن أبي كثير والزهرى وشعبة وخلق . قال ابن عيينة كان إمام أهل زمانه . وقـــال ابـــن سعد : كان ثقة مأموناً، صدوقاً فاضلاً ، خيراً كثير الحديث والعلم والفقـــه ولد سنة ٨٨ هـــ، ومات سنة ١٥٧ هـــ .

انظـــر المزيـــد فى : تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٨ ، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٣٨، خلاصة تذهيب الكمال ١٩٧ ، العبر ١/ ٢٢٧ .

رحل إلى مالك زياد بن عبد الرحمن [1] وفرعوس بن العباس[2] ومن بعدهما فجاءوا بعلم مالك وأبانوا للناس من فضله واقتداو الأئمة به فعرف حقه ودرس مذهبه إلى أن أخـذ بـه أمير الأندلس وهو هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن عبد الملك بن مـروان [3] وأمـر الناس جميعاً بالتزامهم مذهب مالك وصير القضاء والفتيا عليه وذلـك فى العشرة بعد السبعين ومائة فى حياة مالك رحمه الله وشيخ المفتيين حينئذ

---

(١) هـو أبو عبد الله عياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون قرطبى . سمع من مالك الموطأ روى عن عبد الله بن عقبة والليث بن سعد وسليمان بن بلال وعبد الله بن عبد الرحمن وعـبد الـرحمن بن أبي الزناد وعبد الله بن عمر العمرى ويحيى بن أيوب وأبى معشر وموسـى بن على ومحمد بن عبد الله بن عمر الليثى والقاسم بن عبد الله وغيرهم وهو أول مـن أدخل الموطأ فى الأندلس وعلم السنن ومسائل الحلال والحرام ووجوه الفقه والآحكام .

(٢) هو فرعوس بن العباس بن فرعوس بن حميد من أهل قرطبة يكنى أبا الفضل سمع مالك والثورى وابن جريج والليث وابن أبى خازم وغيرهم . كان رجلاً متديناً فاضلاً ورعاً، كان علمه المسائل على مذهب مالك وأصحابه . مات سنة ٢٢٠ هـ .

(٣) هو هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بـن مروان أبو الوليد ثانى ملوك الدولة الأموية بالأندلس ولد بقرطبة سنة ١٣٩ هـ / ٧٥٦م وولاه أبوه ماردة وبويع بعد وفاة أبيه سنة ١٧٢ هـ فحسنت سياسته، وكان حازماً وشجاعاً شديداً على الأعداء راغباً فى الفتح موفقاً بنى عدة مساجد، وتمم بناء جامع قرطبة. وكان أبوه قد بدأ به وكان يبعث إلى الكور من يسأل أهلها عن سيرة عماله فيها وأحبه الناس لعدله، وأهل الأندلس يشبهونه بعمر بن عبد العزيز، استمر إلى أن توفى بقرطبة سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م .

انظر المزيد فى : البيان المغرب ٢/ ٦١ ، نفح الطيب ١/ ١٥٨، تاريخ ابـن خلدون ٤/ ١٢٤ ، الكامل ٦/٤٩ ، أخبار مجموعة ١٢٠ ، جـذوة المقتبس ١١، الحلة السيراء ٣٧، المعجب ١٩ .

صعصعة بن سلام [1] إمام الأوزاعية وقد لحق به من أصحاب مالك غيره فألتزم الناس بهذا المذهب وحملوا بالسيف عن غيره جملة وأدخل فيها قوم الراحلين بالغرباء شيئاً من مذاهب الإمام الشافعي[2] وأبي حنيفة[3]

---

(١) هو صعصعة بن سلام بن عبد الله الدمشقى أبو عبد الله خطيب قرطبة ، وأول من أدخل علم الحديث ومذهب الأوزاعى إلى الأندلس، ولد ونشأ بدمشق وأنتقل إلى قرطبة، فكانت الفتيا دائرة عليه فيها ، أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية وصدراً من أيام هشام، وتوفى بها سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م .

انظر التفاصيل فى : جذوة المقتبس ٢٢٧ ، النجوم الزاهرة ٢/ ١٤٠ ، تاريخ ابن عساكر ٦/ ٤٢٣، البداية والنهاية ١٠/ ٢٠٩ .

(٢) انظر المزيد فى : إرشاد الأريب ٦/ ٣٦٧، الأنس الجليل ٢٩٤/١، البداية والنهاية ٢٥١/١٠ ، تاريخ بغداد ٢/ ٥٦ ، تاريخ الخميس ٢/ ٣٣٥ ، تذكرة الحفاظ ٣٦١/١، ترتيب المدارك ٢/ ٣٨٢ ، تهذيب الأسماء واللغات ٤٤/١، تهذيب التهذيب ٣٥/٩ ، حسن المحاضرة ١/ ٣٠٣ ، حلية الأولياء ٦٣/٩، خلاصة تذهيب الكمال ٢٧٧، الديباج ٢٢٧ ، الرسالة المستطرفة ١٧، شذرات الذهب ٩/٢، صفوة الصفوة ٩٥/٢ ، طبقات الحنابلة ١/ ٢٨٠ ، طبقات الفقهاء ٧١، طبقات القراء لابن الجزرى ٩٥/٢، طبقات المفسرين للداودى ٣/ ٩٨ ، طبقات ابن هداية الله ١١، العبر ٣٤٣/١، الفهرست ٢٠٩ ، اللباب ٥/٢، مرآة الجنان ١٣/٢، النجوم الزاهرة ٢/ ١٧٦ ، الوافى بالوفيات ٢/ ١٧١، وفيات الأعيان ١/ ٤٤٧.

(٣) انظر المزيد فى : البداية والنهاية ١٠٧/١٠ ، تاريخ بغداد ٣٢٣/١٣، تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٨، تهذيب الأسماء ٢١٦/٢، تهذيب التهذيب ٤٤٩/١٠، الجواهر المضيئة ٢٦/١، خلاصة تذهيب الكمال ٣٤٥ ، شذرات الذهب ٢٢٧/١ ، طبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٦ ، طبقات الفقهاء ٨٦، طبقات القراء لابن الجزرى ٢/ ٣٤٢، العبر ٢١٤/١، اللباب ١/ ٣٦٠ ، مرآة الجنان ١/ ٣٠٩ ، مفتاح السعادة ٢/ ١٩٥ ، ميزان الأعتدال ٤/ ٢٦٥، النجوم الزاهرة ٢/ ١٢ ، وفيات الأعيان ٢/ ١٦٣ .

وأحمد[1] وداود[2] فلم يمكنوا من نشره فمات بموتهم ألا من تدين به فى نفسه ممن لا يوبه بقوله وعلى ذلك مضى الأندلسيون إلى وقتنا هذا وسمى دراس لكثرة درسه العلم أصله من مدينة فاس سمع من شيوخ بلده وبإفريقية من أبى بكر بن اللباد[3] وغيره وبالأندلس من شيوخها وله رحلة حج فيها وسمع من على بن أبى مطر بالإسكندرية كتاب ابن المواز ، وحدث به بالقيروان سمعه منه أبو محمد بن أبى زيد[4] وأبو الحسن القابسى ودخل الأندلس مجاهداً وطال بها فسمع منه

---

(١) انظر المزيد فى : تاريخ بغداد ٤/ ٤١٢، تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣١ ، تهذيب التهذيب ١/ ٧٢ ، حلية الأولياء ١٦١/٩، خلاصة تذهيب الكمال ١٠ ، الرسالة المستطرفة ١٨، شذرات الذهب ٩٦/٢ ، طبقات الحنابلة ١/ ٤ ، طبقات المفسرين للداودى ٧٠/١ ، العبر ١/ ٤٣٥ ، الفهرست ٢٢٩ ، مرآة الجنان ٢/ ١٣٢ ، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٠٤ ، وفيات الأعيان ١/ ١٧ .

(٢) هو داود بن عمر و الضبى أبو سليمان البغدادى . روى عن ابن عليه وإسماعيل بن عياش وجرير بن عبد الحميد وجويرية بن أسماء وحماد بن زيد وحفص بن غياث وابن عيينة . وعنه أحمد بن حنبل ومسلم وإبراهيم الحربى وأحمد بن أبى خيثمة وحجاج ابن الشاعر وابن أبى الدنيا. كان أحمد بن حنبل يأخذ له الركاب . مات سنة ٢٢٨ هـ.

انظر المزيد فى : تذكرة الحفاظ ١٢/ ٤٥٦ ، تاريخ بغداد ٣٦٣/٨، تذكرة الحفاظ ٤٥٧/٢، العبر ١/ ٤٠٢ .

(٣) هو محمد بن محمد بن وشاح مولى الأقرع مولى موسى بن نصير اللخمى من أصحاب يحيى بن عمر وتفقه به ، وأخذ عن أخيه محمد بن عمر وابن طالب وحمد يس القطان وأحمد بن يزيد وعبد الجبار بن خالد والمغامى وأحمد بن أبى سليمان . روى عنه زياد بن عبد الرحمن القروى ومحمد بن الناظور ودراس بن غسماعيل . ثقة .

(٤) هو أبو محمد عبد الله بن أبى زيد إمام المالكية فى وقته وقدوتهم وجامع مذهب مالك وشارح أقواله ، وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية، مات ٣٨٤ هـ .

أبـــو الفرج عبدوس [1] بن خلف وخلف بن أبي جعفر [2] وكان رحمه الله من الحفاظ المعدودين من أهل الفضل والدين ممن له الإمانة بمذهب مالك وأصحابه توفى بفاس ســـنة ســـبع وخمســـين وثلاثمائة وقبره بخارج باب الجيزيين معروف والدعاء عنده مســـتجاب وله بفاس مسجد يعرف به وقد جدد قبره الأمير أبو عنان [3] رحمه الله وجعـــل هنالك رخامة منقوشة باسمه وتاريخ وفاته ونصبت عند رأسه فى سنة أربع وخمسين وسبعمائة .

---

(١) ورد ذكره فى ترتيب المدارك للقاضى عيـــاض .

(٢) ورد ذكره أيضاً فى ترتيب المدارك للقاضى عياض .

(٣) هـــو فارس بن على بن عثمان بن يعقوب المرينى أبو عنان المتوكل على الله من ملوك الدولـــة المرينـــية بالمغـــرب . ولد بفاس الجديدة (المدينة البيضاء) سنة ٧٢٩ هـــ / ١٣٢٩م ونشأ محبوباً فى قومه ، لفضله وعلمه ، وولاه أبوه أمارة "تلمسان" ثم ثار على أبيـــه ، وبويع فى حياته سنة ٧٤٩ هـــ ، ولما مات أبوه سنة ٧٥٢ هـــ ، استتب أمره فـــبدأ بإخضاع بنى عبد الواد وكانوا أمراء زناتة بتلمسان ، فقاتلوه فظفر بهم ودخل تلمسان وانتظم له أمر المغرب الأوسط وعصاه أخ له يدعى " ابا الفضل" فأرسل إليه مـــن قاتله فى جبل "السكسيوى" وجبال "المصامدة" من بلاد السوس ، فأعتقل وحمل إليه فسجنه أياماً ثم أمر بخنقه فى مجلسه سنة ٧٥٤ هـــ ، وقصد إفريقية سنة ٧٥٨هـــ، فانـــتزع قسنطينة وتونس من أيدى الحفصيين وبدت له ريبة فى إخلاص بعض قواده، فعاد إلى فاس وقتلهم. ومرض أياماً فدخل عليه وزيره الحسن بن عمر الفردودى فقتله خنقاً لسبب بطول شرحه. وقد ذكره السلاوى فى الاستقصا وقال فيه : كان جهورى الصوت. فى كلامة عجلة، عظيم اللحية تملا صدره، فارساً شجاعاً يقوم فى الحرب مقام جنده، فقيهاً يناظر العلماء، كاتباً بليغاً شاعراً لـــه آثار من زوايـــــا ومدارس . مات سنة ٧٥٩هـــ / ١٣٥٨ م .

انظـــــر المزيد فى : جذوة الاقتباس ٣١٤ – ٣١٦ ، الاستقصا ٢/ ٧٩ – ١٠٢، الحلل المواشية ١٣٤ .

وأخبر ابن التبان أن رجلاً من أهل المغرب قال له سنه سبع وخمسين وثلاثمائة نمت بالرمادة فرأيت السماء والأرض تبكيان. فقلت ما هنا فقيل لى مات أبو ميمونة دراس بن إسماعيل[1] فكان كذلك وكان كثيراً ما ينشد :

غفلت وحارى المرب فى أثرى بحدو ... وليس معى زادَ وفى سَفَرى بُعـــدُ
أنعم جسمى باللباس ولينـــــه ... وليس لجسمى من قميص البلابـد
كأنى به قدمد فى برزخ البـــلا ... ومن فوقه ردم ومن تحته لحـــد
وقد ذهبت منى المحاسـن وأمتحت ... ولم يبق فوق العظم لحم ولا جـلد
فكيف إذا يارب بالنـــار فربت ... ونارك لا يفوى لها الحجر الصـلد
عسى غافر الزلاب يغفـــر زلتى ... فقد يغفر المولى إذ أذنب العبـــد

فقال أكثر هذا الفصل من المدارك وغيره ومن أراد الوقوف على أكثر من هـذا فليطالع كتابى المستفاد فى مناقب العباد فنرجع إلى ما نحن بصدده . ولما عزم الإمـام إدريس على بناء مدينة فاس بعد أن أخبر بتربتها وهوائها ورياحها ومائها وتحقـق بعدها من الصحراء والبحار والجبال الشامخة والسباخ العافمة . وعلم أن ذلك مما يليق بمسكنها رفع يده إلى السماء ودعا الله وقال : اللهم أجعلها دار علم وفقـه يتـلى بها كتابك وتقام بها سنتك وحدودك وأجعل أهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها .

ثم قـال : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الأرض لله يورثها من يشاء من عـباده والعاقـبة للمتقين . ثم أخذ المعون بيده وابتأ بحفر الأساس وأتبعه الفعلة فى ذلك فلم تزل دار العلم وإقامة السنة ببركة وبركة دعائه رضى الله عنه .

---

[1] انظر : القاضى عياض ٤/ ٣٩٥ - ٣٩٧ .

وذكـــر ابـــن غالب فى تاريخه أن الإمام إدريس حين عزم على بناء فاس واخـــتطاطها مـــر به شيخ كبير من الرهابين كان مترهباً فى صومعة قريبة من تلك الجهات فوقف الإمام إدريس وسلم عليه ثم قال له : "أيها الأمير ما تريد أن تصنع بين هذين الجبلين ؟ " قال : اريد أن أختط بينهما مدينة لسكناى وسكنى ولدى من بعدى يعبد الله تعالى بها ويتلى فيها كتابه وتقام بها حدوده . فقال له ايها الأمير إن لـــك عندى فى ذلك بشرى قال وما هى أيها الراهب؟ قال إنه أخبرنى راهب كان قـــلبى فى هذه الديار هلك منذ مائة سنة أنه يجددها ويحيى أثرها ويقيم دراسها رجل من آل بيت النبوءة يسمى إدريس ولها شأن عظيم وقد ر جيم لا يزال دين الإسلام فأغابها إلى يوم القيامة . فقال الإمام إدريس الحمد لله أنا إدريس وأنا من آل النبوة وأنا بانيها إن شاء الله تعالى فكان ذلك مما قوى عزم إدريس على بنائها ويدل على ذلك والله أعلم ما رواه البرنسى[1] أن رجلاً من اليهود احتفر أساس دار من قنطرة عزيـــلة مـــن المدينة المذكورة والموضع يومئذ شعراء بالطخش والبلوط وغير ذلك فوجـــد فى الأســـاس قطعـــة رخام على صورة جارية منقوش على صدرها بالخط الهندى، هذا موضع حمام عمر ألف سنة ثم خرب فأقيم موضعه بيعة العبادة فقيل إن الإمـــام إدريس لما شرع فى بنائها كان يعمل فيها بيده مع الصناع والفعلة فصنع له فـــأس من ذهب وفضة، فكان الإمام إدريس يمسكه بيده ويبدأ به الحفر ويختط به

---

(١) هـــو أحمـــد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسى الفاسى أبو العباس زروق فقيه محدث صوفى من أهل فاس " المغرب " تفقه فى بلده وقرأ بمصر والمدينة وغلب عليه التصوف فـــتجرد وساح. ولد سنة ٨٤٦ هـــ / ١٤٤٢ م وتوفى فى تكرين سنة ٨٩٩ هـــ / ١٤٩٣ م

انظرالمزيد فى : جذوة الاقتباس ٦٠ ، البستان ٤٥ — ٥٠ ، الضوء اللامع ٢٢٢/١، المنهل العذب ١/ ١٨١ ، شذرات الذهب ٧/ ٣٦٣ .

كالأساسيات للفعلة فكثر ذلك على ألسنتهم فى طول مدة البناء فكان الفعلة يقولون هاتوا الفاس خذوا الفاس أحفروا بالفاس فسميت مدينة فاس لأجل ذلك قاله صاحب الاستبصار وهذا والله أعلم . لا يصح لأن الإمام إدريس رضى الله عنه يجهل أن استعمل الذهب محرم على رجال بل يقال أنه لما شرع فى حفر أساسها من جهة القبلة، وجد فى الحفر فاس كبير طوله أربعة أشبار وسعته شبر واحد وزنته ستون رتلا من عمل الأوائل فسميت المدينة به واضيفت إليه نقل معناها المظفرى وقال لأنه لما تمت بالبناء وقيل للإمام إدريس كيف تسميها قال أسميها بأسم المدينة التى كانت قبلها فى موضعها الذى أخبرنى الراهب أنه كانت هنا مدينة أزلية من بناء الأوائل فخربت من الإسلام بألف عام وكان أسمها مدينة ساف ولا كنى أقلب أسمها الأول لا سميها به فجاء به فاس ، كذا نقله أبو الحسن بن عبد الله بن أبى زرع[1] فى كتابه المسمى بالأنيس وكان تأسيس مدينة فاس على ما ذكر المؤرخون الذين عنوا بتاريخها وبحثوا عن أمورها وأحداثها على نحو ما يذكر .

أما عدوة الأندلس فأنها أسست فى يوم الخميس مستهل شهر ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين ومائة أقام الإمام إدريس منها بالموضع المعروف بجراوة حيث نزل باخبيته وقبابه وابتدأ سورها من جهة القبلة وفتح هناك باباً سماه باب القبلة ثم مر بالسور المعروف بالجرواوة وموضع زيتون ابن عطية وفتح هناك باباً سماه باب جرواوة ثم مر بالسور على الموضع المعروف بالمخفية إلى الوادى الكبير إلى برزخ

---

(1) هو على بن عبد الله أو ابن محمد بن أحمد بن عمر بن أبى زرع الفاسى ، مؤرخ من أهل فارس ، له " الأنيس المطرب وروض القرطاس" فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ترجم إلى كثير من اللغات الأوروبية و "زهرة البستان فى أخبار الزمان" لا يزال فى حكم المفقود.

انظر المزيد فى : آداب اللغة ٣/ ٢٠٩ .

وفتح هناك باباً سماه بباب المخفية كان يقابل باب الفرج من عدوة القرويين ثم مر بالسور إلى الشيبوبة وفتح هناك باباً سماه باب الشيبوبة كان يقابل باب الفصيل المعروف الآن بباب الفقيه من عدوة القرويين ثم مر بالسور إلى رأس مجر الفرج وفتح هناك باباً سماه باب أبي سفيان ثم مر بالسور على جرواوة وفتح هناك باباً سماه باب الكنيسة يعرف الآن بباب الخوخة وبخارجه كان يسكن المرضى لتكون روايحهم تحت الريح الغربية فأنها الغالبة لفاس وليكون تصرفهم من الماء بعد خروجه من البلد ولا يصل من ضررهم شيء للمدينة ثم انتقلوا من الموضع المذكور لكهوف باب الشريعة الذى بأعلى المدينة فى زمن المجاعة وكانوا يتصرفونها فأمر بنقلهم لكهف بظاهر برج الكوكب وهو الذى فيه سكناهم الآن ثم مر بالسور إلى أن وصل باب القبلة المذكورة وقد أستدار بها السور وبنى بها جامعاً للخطبة بقرب رحبة البتر ويعرف بجامع الأشياخ .

وأما عدوة القرويين فأنها أسست فى مستهل ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين ومائة أقام بها بالموضع المعروف بالمفرمدة ويعرف الآن بدار الفيطون وبقرب مسجد الشرفاء حيث سكنى حفيد الإمام إدريس نفعنا الله بهم وحشرنا فى زمرتهم وابتدأ أسوارها من رأس عقبة عين عاو وفتح هناك باباً سماه باب إفريقية وبه يعرف الآن وجدده ووسعه الأمير المستعين فى شهر شوال سنة ستين وسبعمائة وكان حول العين هناك غيضة عظيمة يقطع فيها الطريق عبر أسود اسمه علو فرجع ذلك فلأمام إدريس وثبت عليه فأمر بصلبه على شجرة هناك إلى أن تقطعان أشلاوه فسميت العين بأسمه ثم مر بالسور إلى عين دردور إلى عقبة السعتر وفتح هنالك باباً سماه بباب الفصيل وهو الذى ذكرنا يقال له باب النقبة ثم مر بالسور من ضيرمة الوادى وفتح هناك باباً سماه باب الفرج ويعرف الآن بباب السلسلة ثم مر بالسور إلى عيون ابن الصاوى المعروفة الآن بعيون الكرازين ثم فتح هنالك باباً

سماه باب الحديد ثم مر بالسور لأعلى عقبه الجرف وفتح هناك باباً سماه باب القلعة ثم مر بالسور حتى وصل به باب إفريقية المذكور وقد استدار بها السور ثم بنى جامعاً للخطبة متصلاً بمنزله وهو المعروف الآن بمسجد الشرفاء ولم يزل على نحوها بنات الإمام إدريس بن إدريس إلى أن اعتلت سفقه وتخلفت أجداره وتداعى إلى السقوط فأنتدب لبنائه من أبتغى الأجر من الله تعالى من أصهار الشرفاء الساكنين هناك وإقامة على ما هو عليه الآن وذلك فى سنة ثمانية وسبعمائة وكان فى أثناء ذلك أمر الناس ببناء الدور والغرس ونادى فيهم أن كل من بنى موضعاً أو أغترسه قبل تمام بناء السور فهو له هبة لله تبارك وتعالى، فيظهر من هذا والله أعلم .

أن من بنى أو اغترسه بعد تمام السور أنما يكون باستئجار الأرض وهو سبب الجزاء فى بعض جهاتها وقد بحث بعض عمال فاس لم كانت دار الجزاء وبارائها دار حرة لا جزاء عليها فصح عنده أن بعض المواضع يكون بها الدور والأجنان والفنادق وغير ذلك ثم ينجلى أو يموت أهلها ولا وارث لهم فيرج ذلك لنظر العامل فى الجزاء فيجزيه ويتخلص بوجه صحيح ثم يخرب أيضاً فيجزيه العامل كذا ذكر أشياخنا القدماء ولما فرغ الإمام إدريس من بناء أسوار المدينة وجامع خطبتها أنزل القبائل الوافدين عليه من الأندلس بالعدوة الشرقية منها فسميت لذلك عدوة الأندلس ونزل الوافدين عليه من القيروان بالعدوة الغربية منها فسميت لذلك عدوة القرويين ثم أمرهم بزيادة البناء والغرس فبنى الناس الدور والمساجد والحوانيت وغرسوا جانبى الوادى من منبعه بفحص سايس إلى مصبه فى نهر سبو بأنواع الأشجار وحرثت سائر نواحيه بأنواع الزراعات فعمرت الأرض بالغراسة والحراثة، وظهر صلاح ذلك والانتفاع بغلاته فى سائر الأوقات وكثرت الحيزات وزادت العمارات وقصدها الناس على اختلافهم من جميع البلاد والاصقاع وسكنها الفقهاء والعلماء والتجار والصناع ، ولما سكنت مدينته

واستقامت رعيته وحضرته الجمعة صعد المنبر فخطب الناس ثم رفع يديه فى أخر خطبته وقال : اللهم إنك تعلم أنى ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا سمعة ولا مكابرة وأنما أردت أن تعبد فيها ويتلى بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ما بقى من الدنيا، اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعنهم عليه وأكفهم مؤنة أعدائهم وأدر عليهم الرزاق وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق إنك على كل شىء قدير. فأمن الناس على دعائه فكثرت بالمدينة الخيرات وظهرت البركات وأقام الإمام إدريس ساكناً بها على سنة سبع وتسعين ومائة ، فخرج إلى غزو من بقى من الكفار بنفيس وبلاد المصامدة فوصل غليها ودخل مدينة نفيس ومدينة أغمات[1] وفتح سائر بلاد المصامدة ورجع إلى مدينة فاس فأقام بها إلى شهر محرم من سنة تسع وتسعين ومائة ، فخرج منها إلى غزو تلمسان لتكون الكلمة واحدة فى أعزاز الدين فغلب عليها وأفتتحها ونظر فى أموالها وأصلح أسوارها وجامعها الذى باقادير وصنع فيه منبراً وكتب أسمه عليه كذا نقله ابن غالب وصاحب الأنيس. وقال عبد الملك الوراق فى مقايسه دخلت جامع تلمسان فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة فرأيت فى رأس منبرها الواحاً من بقية المنبر القديم فد سمرت هناك وعليها مكتوب هذا ما أمر به الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى شهر محرم سنة تسع وتسعين ومائة ثم رجع الإمام إدريس على مدينة فاس فلم يزل بها إلى أن توفى رحمه الله فى أول شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وثمانية أشهر فكان أيام كفالته وبقية حمله

---

(١) هى ناحية فى بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش .
انظر : معجم البلدان ١/ ٢٩٥ - ٢٩٦ .

عشر سنين وعشرة أشهر وأيام ، إمارته سبعاً وعشرين سنة ويذكر أنه دفن بمسجد الشرفاء بإزاء الحائط الشرقي منه . وقد أنشد بعض الشعراء فى ذلك :

منازل أهل الله آل رسولـــــه فأحبب بهم أهلاً وأحبب بهم مغنى
مدينة إدريس بـــن إدريس التى بها قبره نـــــار وقبره مبنـــــى

وكـــان سبب وفاته على ما ذكر البكرى أنه أكل عنباً فشرق بحبة فمات مـــن حينه رحمه الله وخلف من الولد على ما ذكره ابن حزم [1] فى جمهرته[2] ثلاث عشـــر ذكـــراً . إدريـــس وأحمد وعبد الله ويحيى والحسن والحسين وداود ومحمد وعيســـى وعمر وجعفر والقاسم وقيل حمزة وقيل أكثر من ذلك فولى بعده منهم محمد وهو أكبرهم ومما قيل فى محاسن فاس :

---

(١) هـــو الإمام العلامة الحافظ الفقيه أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف الفارسى الأصل اليزيدى الأموى مولاهم القرطبى الظاهرى. كان أولاً شـــافعياً ثم تحـــول ظاهـــرياً وكان صاحب فنون وورع وزهد، وإليه المنتهى فى الذكاء والحفظ، وسعة الدائرة فى العلوم ، أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة مع توسعه فى علوم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار. له " المحلى " على مذهبه واجتهاده، و "شرحه المحلى" و "الملل والنحل" و "الإيصال" فى فقه الحديث وغير ذلك. أخر من روى عنه بالإجازة أبو الحسن بن شريح بن محمد مات سنة ٤٥٧ هـــ . انظـــر المـــزيد فى : وفيات الأعيان ١/ ٣٤٠ ، العبر ٣/ ٢٣٩ ، الصلة ٢/ ٤١٥، شذرات الذهب ٣/ ٢٩٩ ، بغية الملتمس ٤٠٣ ، تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٤٦ ، جذوة المقتبس ٢٩٠ .

(٢) نشر الكتاب بتحقيق ليفى بروفنسال ثم نشر فى دار المعارف بالقاهـــــرة بتحقيق عبد السلام هارون .

يا فاس منك جمع الحسن مسترف والساكنون أهنيهم لقد رزقوا
هذا نسميك أم روح لراحتنا وماؤك السلسل الصافى أم الورق
أرض تخللها الأنهار داخلها حتى المجالس والأسواق والطرق

وقال آخر :

بلد أعرته الحمامة طوقها وكساه حلة ريشه الطاووس
فكأنها الأنهار فيه مدامة وكأن ساحات الديار كؤوس

وللفقيه أبى عبد الله المغيلى[1] فى وصف فاس وهو يتشوق غليها حين ولى القضاء وهو بمدينة أزمورة [2].

يا فاس حيى الله أرضك من ثرى وسقاك من صوب الغمام المسيل
يا جنة الدنيا التى أريت على حمص بمنظرها البهى الأجمل
غرف على غرف وتجرى تحتها ماء الذ من الرحيق السلسل
بساتين من سندس قد زخرفت بجداول كالأيم أو كالفصيل
وبجامع القروى شرف ذكره أنس تذكره بهيم تبليل
وبصحنه زمن المصيف محاسن فمع العشى الغرب فيه استقيل
وأجلس إزاء الحضة الحسنا به وأكرمهم بها عنى فديتك وأنهل
فأعدوة القرويين التى كرمت لا زال جانبك المحبور معموراً
ولا سلب الله عليها ثوب نعمة أرض تجنبت الآثام والزورا

وقال آخر :

أليس لها على البلدان فضل عظيم القدر ليس له عنيد

---

(1) ورد ذكره وترجمة له فى البستان لابن مريم .

(2) بلد بالمغرب فى جبال البربر
انظر : معجم البلدان ١/ ٢١٦ .

أليس ترى عباد الله طـــــرا وكلهم لمالكها عبيـــــــد

وقـالت الحكمـاء : لا تستوطن إلا بلدة فيها سلطان قاهر وطبيب ماهر ونهر جار وقاض عادل وسوق قائم .

وقـالت الحكمـاء أيضاً : أحسن موضوعات المدن أن تجمع خمسة أشياء وهـى النهر الجارى والمحرث الطيب والخطب القريب والسور الحصين والسلطان القاهـر إذ به نجاح مالها وتأمن سبلها وقد جمعت فاس هذه الخصال التى هى كمال المـدن وشرفها وزادت عليها محاسن كثيرة وسأسرد منها نبذاً فمنها نهرها المعروف بنهر الجواهر الذى بأعلاها بنحو ستة أميال وهو يخرج من نحو ستين عنصر أحدها ينـبعث من جهة القبلة وبعضها من جهة الغرب مسامة لمشرق الشمس وله منظر عجيب لصفائه وانهماره على الرضاض فيجتمع ما يخرج من تلك العناصر من المياة فيصير نهراً كبيراً يجرى فى بسيط من الأرض يكاد لا يتبين جرى الماء فيه لا ستواء أرضـه على أن ينحدر إلى البلد فينقسم فى داخلها على جداول كثيرة فيشق أكثر جهاتهـا ويتشـعب فى داخلها فينتفع به فى مساجدها وسقاياتها ودورها وارجائها وحماماتهـا ومـقى جناتها ثم يخرج منها وقد حمل اثقالها وسائر فضلاتها وليس لهذا النهر نظير لصفائه وعذوبه مائه وصفته وبرودة عيونه فى زمن الصيف وسخانتها فى زمـن الشتاء وهو يسخن سريعاً يبرد سريعاً وينهضم سريعاً وهذه لصفات محدودة عند الأطباء ويخرج منه الصدف الثمين الذى يقوم الجوهر ولهذا سمى نهر الجواهر ، ومن منافعه أنه يفتت الحصى التى فى المثانة ويذهب الصئبان من الرأس والقمل من الجسـد لم أغتسـل بـه وداوم على شربه ويغسل به الثياب دون صابون فيبيضها ويكسـوها نقـاوة ورائحة طيبة وتوجد فى السراطين المستعملة فى الأدوية وليست توجـد فى غيره إلا نادراً ويخرج منها أنواع الحوت مثيل اللبين والبورى والسلباح

والـــبوقة ذلك كله حوت لذيذ المطعم كثير المنفعة ومنها أن منها ماء العيون والأبار والأنهـــار فميـــاة العيون عذبة صافية باردة فى الصيف سخونة فى الشتاء حين يراد ذلك ومياة الأنهار بعكسها سخنة فى الصيف باردة فى الشتاء فلا يزال الماء الساخن والبارد موجودين فى كل زمان وذلك مما يعين على التطهير والتنظيف. ومنها قرب الملاحة التى عليها من مدر شر الشاطبى على وادى مكس وبينهما من المسافة ثمانية عشر ميلاً ومن العجائب فى هذه الملاحة أنها تحرث كلها بالزرع فتجد الفرادين فى وســـط المـــلح بخضـــرة ناعمة تتمايل خاماتها فضلاً من الله ونعمة وكمعدن الجص والصلصـــال وأنـــواع الحجارة والرمال وذلك على اختلاف أنواعه فتصير يصرفه الناس فى منافعهم .

ومنها خشب الأرز المجلوب لها من جبال بنى يزغة وهى بنحو الثلاثين ميلاً عـــنها يصـــل منه كل يوم أحمال كثيرة فلا يعدم فيها بوجه وقد يعمر العود منه فى الموضع الذى لا يناله الماء ألف سنة وازبدوا يعبر ولا يستاس .

ومـــنها الحطب الكثير الذى يدخلها من جميع جهاتها كجبل بنى بهلول فانه يصبح كل يوم من أحمال البلوط وفحمه ما لا يوصف كثره .

ومـــنها المحـــرث العظيم الذى بأقطارها سقيا وبعلا وكثرة المجاشر ما ليس على مدينة من مدن المغرب .

ومنها بعدها من أطراف الأرض التى تخاف فيها الفتن والغارات .

ومـــنها اختصاصها بجميع الفواكة وأصنافها وأنواع الخضر والبقول على أختلافها وسائر نوار الأرض وأزهارها حتى لا يشذ شىء من ذلك لمن طلبه منها .

ومنها أنه لا يعدم بها ولا بنواحيها صيد سوى كان سائحاً أو طـــــائراً أو دارجاً .

ومنها قرب العيون السخنة كحمة خولان وحمة أبي يعقوب فإن فيها موفقا للأستحمام والتداوى وقد أعتنى أمير المسلمين أبو الحسن ببناء حمة خولان على وجه محكم لتتم به مصالح الناس ومنافعهم .

ومنها أن حرها وبردها ليس بشديد جداً وقد أعتدل فيها الفصلان فى أوقاتهما فيكون دخول الخريف إلى الشتاء غير متباين الهواء وكذلك كان فصل ينقل من هواء إلى هواء من زمن إلى زمن بالتدريج فلذلك لها اعتدال الهواء فى ارضها وطاب الثرى وعذب الماء وزكت الأشجار وطابت الثمار واخصبت الزروع وكثرت الخيرات وحسنت أخلاق أهلها ونضرت وجوهم وأبدانهم وأنفتنت أذهانهم وقل ما يخالف بعضهم بعضاً فى الخلقة والسور والجمال والتنظيف حتى فضلوا على غيرهم فى العلوم والصناعات والمعروفة بأنواع التجارات .

ومنها : أن أهلها فى العادة أقل خلاف على أمرائهم وأكثر طاعة لحكامهم وولاتهم .

ومنها : قربها من وادى سبو الذى تسيل منه جميع القوارب والسفن الصغار إلى البحر الأعظم وتطلع منه إلى ملتقى واديها وقد كانت دار صنعة لا تشاء القوارب والسفن الصغار وغيرها بالموضع بالحيالات من أرض بنى عبودة التى بقرب ملتقى وادى فاس فى أيام الخليفة عبد المؤمن الموحدى [1] حين أراد أن يتوجه

---

(١) هو عبد المؤمن بن على بن مخلوف بن يعلى بن مروان أبو محمد الكوفى أمير المؤمنين مؤسس دولة الموحدين المؤمنية فى المغرب وإفريقية وتونس ، ونسبته إلى كومية " من قبائل البربر " ولد فى مدينة تاجرت بالمغرب " قرب تلمسان" سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م ونشأ فيها طالب علم ، وأبوه صانع فخار وحج ، والتقى بابن تومرت ، فصادقا وانتهى الأمر بأن ولى ابن تومرت ملك المغرب الأقصى ولقب بالمهدى ، فجعل لعبد المؤمن قيادة جيشه، واختصه بثقته. ولما توفى المهدى اتفق أصحابه على خلافة =

لفـــتح المهدية [1] سنة أثنتين وخمسمائة كذا وجد بخط الفقيه أبي عبد الله محمد بن القاضي أحمد بن ميمون الفشتالي[2] .

= عبد المؤمن ، فتم له الأمر سنة ٥٢٤ هـــ . ثم بويع البيعة العامة بجامع " تنميلل " ودعـــى "أمير المؤمنين" سنة ٥٢٦ هـــ . ونهض للغزو والفتوح وقاتل الملثمين " بنى تاشفين" فأستأصلهم ، وقتل أخرهم إبراهيم بن تاشفين ودخل مراكش سنة ٥٤١ هـــ وجاءتـــه بيعة بعض أهل الأندلس، وأول ما وصله منها وفد من إشبيلية، وكان عاقلاً حازمـــاً شجاعاً موفقاً، كثير البذل للأموال، شديد العقاب على الجرم الصغير، عظيم الاهـــتمام بشؤون الدين، محباً للغزو والفتوح، خضع له المغربان " الأقصى والأوسط" واستولى على إشبيلية وقرطبة وغرناطة والجزائر والمهدية وطرابلس الغرب وسائر بلاد إفـــريقية ، وأنشأ الأساطيل وضرب الخراج على قبائل المغرب وهو أول من فعل ذلك هنالك، له أبنيه وآثار مجاهداً، ونقل إلى تنميلل فدفن منها إلى جانب قبر ابن تومرت .

انظـــر المزيـــــد في / الاستقصا ١/ ١٣٩ ، تاريخ ابن خلدون ٦/ ٢٢٩ ، الكامل ١٠/ ٢٠١ ثم ١١/ ٢٠٩ ، الحـــلل الموشية ١٠٧ – ١١٩ ، الخلاصة الفقية ٥٥، وفيات الأعيان ١/ ٣٠١ ، بغية الرواد ١/ ٨٧ ، جذوة الأقتباس ٢٧٢ .

(١) بالفتح ثم السكون في موضعين أحداهما بإفريقية والأخرى اختطها عبد المؤمن بن على قرب ســـــلا .

انظر مزيد من التفاصيل في معجم البلدان ٨/ ٢٠٥ – ٢٠٨ .

(٢) هـــو محمد بن أحمد بن عبد الملك أبو عبد الله الفشتالي قاضي فاس ، من العلماء بفقه المالكية والأدب ، وأحـــــد الكتاب البلغاء في عصره وهو الذي خاطبه لسان الدين ابن الخطيب بأبيات أولها :

" ومن ذا يعدّ فضائل الفشتالي " .

ولاه ســـلطان المغـــرب قضاء فاس سنة ٧٥٦ هـــ وكان يوجهه في السفارة عنه إلى الأندلس، له تأليف في " الوثائق" مات سنة ٧٧٧ هـــ . =

وكذا أمر أمير المؤمنين أبو عنان[1] بأنشاء جفنتين أثنتين بمنزل خولان :

إحداهما : شيطى يجر مائة وعشرين محاريباً .

والثانى : شلير يجر ستين محاريباً .

ودفعاً بوادى سبو إلى أن وصلا إلى معمورة سلا سنة ست وخمسين وسبعمائة كل ذلك على يد ثقته أبى عثمان سعيد بن خرز وقد جلب لمولانا أمير المسلمين أبى الحسن رحمه الله من المرية بيلة من الرخام الأبيض زنتها مائة قنطار

=انظر : الإحاطة ٢/ ١٣٣، الدرر الكامنة ٣/ ٣٣٠ ، الرحلة الورثيلانية ٤٢٩، التعريف بابن خلدون ٦٠ – ٦١ و ٤٤٨ .

(١) هو أبو عنان المرينى فارس بن على بن عثمان بن يعقوب المرينى، المتوكل على الله من ملوك الدولة المرينية بالمغرب. ولد بفارس الجديدة (المدينة البيضاء) ونشأ محبوباً فى قومه، لفضله وعلمه ، وولاه أبوه إمارة "تلمسان" ثم ثار على أبيه وبويع فى حياته سنة ٧٤٩هـ) . ولما مات أبوه سنة ٧٥٢هـ استتب أمره، فبدأ بإخضاع بنى عبد الواد (وكانوا أمراء زناتة بتلمسان) وانتظم له أمر المغرب الأوسط وعصاه أخ له يدعى " أبا الفضل " فأرسل إليه من قاتله فى جبل "السكسيوى" وجبال "المصامدة" من بلاد السوس ، فأعتقل وحمل إليه فسجنه أياماً ثم أمر بخنقه فى مجلسه سنة ٧٥٢ هـ وقصد إفريقية سنة ٧٥٨ هـ ، فأنتزع قسطنطينية وتونس من أيدى الحفصيين، وبدت له رية فى إخلاص بعض قواده، فعاد إلى فاس ، وقتلهم، ومرض أياماً فدخل عليه وزيره الحسن بن عمر الفردودى فقتله خنقاً، لسبب يطول شرحه . وقد ذكر السلاوى فى الاستقصا وقال فيه : كان جهورى الصوت فى كلامه عجله ، عظيم اللحية، تملأ صدره، فارساً شجاعاً يقوم فى الحرب مقام جنده، فقيهاً يناظر العلماء، كاتباً بليغاً شاعراً ، له آثار من مدارس وزوايا .

انظر : جذوة الأقتباس ٣١٤ – ٣١٦، الاستقصا ٢/ ٧٩ – ١٠٢ ، الحلل الموشية ١٣٤ .

وثلاثة وأربعون قنطاراً وسيقت من المرية بالأندلس إلى بلد العرائش إلى أن طلعت بوادى قصر عبد الكريم وجعلت منه على عجلة خشب تجرها القبائل والرؤساء إلى أن وصلت على منزل أولاد مخربة الذين على ضفة سبو الوادى المذكور ووسقت فيه أيضاً على أن وصلت إلى ملتقى وادى فاس وجعلت منه على عجل الخشب أيضاً يجرها الناس إلى أن وصلت على مدرسة الصهريج التى بعدوة الأندلس ثم نقلت منها بعد ذلك بأعوام إلى المدرسة التى أمر ببنائها إزاء القرويين وهى التى بوسط صحنها الآن وكان جبلها من المرية سنة خمس وعشرين وسبعمائة فإن قيل كيف يتوصل إلى وزنها فأعلم أن الذين جلبوها لما أرادوا تفريغها علم على الماء وفى الجفن الذى وسقت فيه ثم فرغت منه ومخن فيه قناطر من الرمل بالوزن شيئاً فشيئاً على أن بلغ الماء حد ما علم أولاً فى قاربها ثم فرغ الرمل بذلك وزنها كذا ذكر بعض الشهود الذين حضروا على ذلك ويذكر أنهم كتبوا رسماً بذلك وطواله به أمير المؤمنين أبو الحسن رحمه الله وكذلك فعل بابواب المهدية التى صنعت من حديد فى أيام عبيد الله [1] التى زنة كل واحدة منها ألف قنطار على ما ذكر البكرى وكان الأمير أبو الحسن يدفع الأحمال الكثيرة من خشب الأرز من منزل خولان إلى معمورة سلا على صفة يعلمها البحريون ونهر سبو ينبعث عن عنصر فى مغارة مهولة فى شعراء عافطة ببلاد فازاز إلى أن يمر على بلاد وارثين وهذه العين لا يدرك لها قعر وللبربر المجاورين لها تجاريب فيها .

منها : أن المريض إذا ارادوا أن يعملوا هل يبرأ أو يموت ؟ حملوه لرأس العين للموضع المهول فيغطسونه فيه حتى يقرب أن يصفر ثم يخرجونه فإن خرج

---

[1] هو عبيد الله المهدى مؤسس الدولة الفاطمية فى المغرب .

انظر التفاصيل فى : عبيد الله المهدى ـــ للدكتور / حسن إبراهيم

طبعة النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٥٢ م

عـــلى فيه دم يستبشرون بحياته وإن لم يخرج من فيه دم أيقنوا بهلاكه وهذا عندهم متصـــادق لا ينكر قاله صاحب الاستبصار فى عجائب الأمصار ، وهذا لا يفعله إلا جـــاهل وإن فعله أحد بأحد فمات فإنه يقتص منه وما سوى ذلك من فصول هذا الباب قد يدرك بالمشاهدة والتجربة وتصيد من وادى سبو هذا الشابل الكبير وهو يطـــلع مـــن معمورة سلا إلى راس عين سبو وتصيد منه الحوت الكبير الذى يعرف بالقـــرب يكون فى زنة الواحدة منه قنطار وأزيد ويوجد فيه أيضاً الحوت المعروف بالشولى تصنع منه الألوان بأنواع النفل فلا تشم له رائحة السمك .

ومها : ميل الناس لسكناها فمنذ سكناها وهى مملوءة بأصناف الناس وأهل الكور والأمصار وأنتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية فليس من أهل بلد ولا أقلـــيم إلا ولهم بها متجر ومنزل وصناعة وتصرف وأجتمع فيها ما ليس بمدينة من مدن الدنيا وأتتها التجارات وأهل الصناعات من كل صفع حتى تكامل بها كل مـــتجر وســـيفت إليهـــا خيرات الأرض وجمعت فيها ذخائر الدنيا وتكاملت فيها بركات العالم فقد صار سكناها لأجل ذلك لا عالم أملح من عالمهم ولا رواية أثبت من روايتهم ولا متكلم أجزل من متكلمهم ولا فأرى أتقفى من قارئهم ولا طبيب أمهـــر من طبيبهم ولا كاتب أضبط من كاتبهم ولا خطيب أبرع من خطيبهم ولا واعـــظ أوعـــظ من واعظهم ولا شاعر أحدق من شاعرهم ولا صانع أصدق من صانعهم ولا قوال أطرب من مغنيهم .